الصراع بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية في الدولة العثمانية
فيض الله أفندي ودوره في عصيان أدرنة "أنموذجا"
(١٧٠٠- ١٧٠٣م)

عمار محمود الحصري

مدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة المنصورة

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة موضوع " الصراع بين المؤسستين: السياسية، والدينية، ممثلا في دور فيض الله أفندي" أحد أهم من وصل إلي منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في أشهر أحد العصيانات في الدولة في بداية القرن الثامن عشر وهو عصيان أدرنه، والذي نتج عنه عزل السلطان العثماني مصطفي الثاني. وينتمي الموضوع إلى مجال البحث في التاريخ الديني السياسي، ويبحث في قضيتين رئيستين، إحداهما: قضيةُ «تدخل رجال الدين في القرار السياسي»، ويشمل: الآليات التي وصل بها فيض الله إلى منصبه والإجراءات التي اتخذها لفرض نفوذه، والظروف التاريخية المحيطة بهذه القضية، وكيف حول شيخ الإسلام نفوذه الديني إلى نفوذ سياسي، والقضيةُ الأخرى: «العصيان وتعامل مراكز القوى معه»، وتشمل: فكرة العصيان وكيف ظهرت؟ ومن المستفيد من العصيان ونتائجه؟

وتتبع الدراسة المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي مع الاستعانة في بعض المواضع بالمنهج الاستقرائي، وهوما تقتضيه الدراسة. ومن أهم نتائج البحث: بالإضافة إلى محاولة خلق عائلة جديدة تقوم بتغيير موازين القوى في الدولة العثمانية، استطاع فيض الله نقل موازين الثقل المكاني في الدولة من استانبول إلي أدرنه، فمن المعروف أن استانبول هي العاصمة العثمانية الأولى ومركز الثقل في الدولة، وكانت أدرنه مكانًا صيفيًّا للسلاطين، وكان السلطان العثماني يقضي ثلاثة أشهر فقط في

أدرنه بحد أقصى، وكان بعض السلاطين؛ نظرًا لظروف الدولة السياسية، لا يخرج من استانبول، إلا أن فيض الله أفندي استطاع أن يقنع السلطان مصطفى الثاني أن يظل في أدرنه، وبقي فيها لمدة ثلاث سنوات، نتج عن ذلك ضعف مكانة استانبول ومكانة قصر استانبول والعاملين فيه، مقابل زيادة نفوذ قصر أدرنه وزيادة مكانة العاملين فيه، وقد تأثر بذلك قطاعات متعددة في الدولة.

الكلمات الرئيسة: عصيان أدرنه، فيض الله أفندي، شيخ الإسلام، الدولة العثمانية، ١٧٠٣م.

Abstract:

This research aims to study the topic of "the conflict between the political and religious institutions represented in the role of Faydullah Effendi,"one of the most important people who reached the position of Sheikh al-Islam in the Ottoman Empire in one of the most famous rebellions in the state at the beginning of the eighteenth century, which was the Edirne disobedience, which resulted in the isolation of the Ottoman Sultan Mustafa II. The topic belongs to the field of research in political religious history. It examines two main issues: one of them is the issue of “the intervention of the clergy in the political decision” and it includes: the mechanisms by which Faydullah reached his position and the measures he took to impose its implementation and the historical circumstances surrounding this issue and how the Sheikh al-Islam transformed his religious influence into political influence, and the other issue “disobedience and dealing with The centers of power are with him.” It includes: the idea of disobedience, how it appeared, and who benefits from the disobedience and its consequences. The study follows the historical method, both descriptive and analytical, with the use of the inductive method in some places, which is what the study requires. Among the most important results of the research: in addition to trying to create a new family that changes the balance of forces in the Ottoman Empire, Faydullah was able to transfer the balance of spatial weight in the state from Istanbul to Edirne.

Keywords: Adrianople disobedience, Faizullah Effendi, Sheikh al-Islam, the Ottoman Empire, 1703.

مقدمة:

يتناول البحث الدور السياسي الذي لعبه فيض الله أفندي الذي تولي منصب شيخ الإسلام، وكان هذا منصبًا إداريًّا يجمع بين الإمامة والفتوى، فكان الذي يصل إلى رأس المؤسسة الدينية في الدولة العثمانية كان يلقب بـ "شيخ الإسلام"، وكان من شروط المنصب أن يتدرج في السلم الوظيفي الديني، فكان يبدأ بمعلم في أحد المساجد ثم يترقى إلى أن يصير معلمًا في إحدى المدارس الكبرى كمدرسة الفاتح أو السليمانية، ثم يترقى ليصل إلى السلك القضائي، ثم يتدرج فيه ليصبح قاضي عسكر ثم قاضي عسكر الروملي ثم قاضي عسكر الأناضول، ثم يكون مؤهلا ليصبح في منصب شيخ الإسلام.

وقد وصل فيض الله إلى هذا المنصب، لكنه لم يكن من حيث التدرج الوظيفي مؤهلا له، فقد كان فيض الله معلما للسلطان ولم يدخل سلك القضاء، كان قربه من السلطان سببًا في توليه هذا المنصب، وكان هذا الاختراق الوظيفي سببا من أسباب بداية الصدام بين المؤسسة الدينية والباب العالي الذي كان مخولا بترشيح شخص لمنصب شيخ الإسلام حسب الأعراف الإدارية العثمانية.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة موضوع "دور فيض الله أفندي" الذي وصل إلي منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في أحد أشهر العصيانات في الدولة في بداية القرن الثامن عشر، وهو عصيان أدرنه. وينتمي هذا الموضوع إلى مجال البحث في التاريخ السياسي والديني. ويبحث في قضيتين رئيستين، إحداهما: قضيةُ «تدخل رجال الدين في القرار السياسي»، وتشمل: الآليات التي وصل بها فيض الله إلى منصب، والإجراءات التي اتخذها لفرض نفوذه، والظروف التاريخية المحيطة بهذه القضية وكيف حول شيخ الإسلام نفوذه الديني إلي نفوذ سياسي. والقضيةُ الأخرى: «العصيان وإدارة مراكز القوى له» وتشمل: فكرة العصيان، وأسبابه، وأحداثه والمستفيدين ونتائجه.

وتتبع الدراسة المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي مع الاستعانة في بعض المواضع بالمنهج الاستقرائي، وهوما تقتضيه الدراسة.

وتعود أهمية الدراسة إلى كونها تتناول قضية لم يحدث لها مثيل من قبل في التاريخ العثماني ولم تكرر بعد، فعلى الرغم من كثرة حركات العصيان والتمردات في الدولة العثمانية لم يحدث أن تسبب شيخ للإسلام في حركة عصيان من قبل، ومن حيث النتائج التي ترتبت عليها أيضا، من سعي القصر، فيما بعد، والباب العالي نحو تهميش المؤسسة الدينية.

كما تعود أهمية الموضوع إلى البحث عن العوامل والظروف التي ساعدت شيخ الإسلام فيض الله أفندي أن يحول المؤسسة الدينية في بداية القرن الثامن عشر إلى سلطة سياسية تتحكم في مؤسسات الدولة، ومن ثم قدرته على تركيز معظم الصلاحيات التنفيذية في يده، والنتائج التي رافقت هذا النفوذ غير المحدود.

هذا فضلا عن كونه يبحث في تناول الدور السياسي الذي كان يلعبه رأس المؤسسة الدينية في الدولة العثمانية.

ويعد البحث محاولة للوقوف على الأسباب وراء الصراع الذي حدث بين أكبر مؤسستين في الدولة العثمانية، ويبحث في إدارة كل مؤسسة للصراع، ومقدار المصالح الشخصية والمنافع الخاصة، وعلاقة ذلك بالفساد السياسي والديني الذي بدأ يظهر في الدولة العثمانية.

وهنا تثار عدة تساؤلات منها: إلى أي مدى استطاع شيخ الإسلام أن يحدث تحولات في سياسة الدولة؟ وهل قادت هذه التحولات إلى إحداث تغيرات في مراكز القوى في الدولة؟ وما موقف العائلة التي اشتهرت بالسيطرة على أعلى منصب سياسي في الدولة وهو منصب الصدارة العظمي، وهي عائلة (كبرولو) من هذه التحولات؟

وكيف حول شيخ الإسلام نفوذه الديني إلى نفوذ سياسي؟، ذاك النفوذ الذي لم ينافس فيه المؤسسة السياسية ممثلة في الصدر الأعظم وعائلة "كبرولو" فحسب. بل استطاع بالإضافة إلي تهميش دور الصدر الأعظم، عزل السلطان عزلا معنويا، إذ لم يتدخل السلطان في أي قرار تنفيذي دون الرجوع إلى فيض الله أفندي. ومن هنا تظهر الإشكالية البحثية في هذه النقطة، والتي تدور حول: ما الملابسات المحيطة بهذا الحدث؟ وكيف تعاملت مراكز القوى مع هذه التغيرات؟

مصادر البحث:

رسالة أدرنه من تاريخ نعيما:

كتبها مصطفي نعيمة الحلبي (ت ١٧١٦) وهو من مواليد حلب ١٦٥٥، والده نعيمة محمد أغا، وهو من أعيان حلب، وجده الأعلى يسمى "كوجوك علي أغا"، كان سردارا لانكشارية حلب. وصارت هذه العائلة من أعيان المنطقة لطبيعة عملها في القطاع العسكري. تلقى مصطفي تعليمًا جيدًا في حلب حيث تعلم العربية والفارسية، وانتقلت العائلة في عهد السلطان سليمان إلى استانبول، وصارت من العائلات القريبة من القصر العثماني، وتولت المناصب داخل القصر[١].

ويعود سبب تأليف رسالة أدرنه إلى أنه لما شرع مصطفي نعيمة في كتابة مؤلفه الضخم المعروف بـ "تاريخ نعيما" والذي قرر أن يحتوي على الأحداث ما بين سنة ١٥٧٤م إلى تاريخ ١٦٥٥م، طلب منه الصدر الأعظم تمديد تاريخه حتى سنة ١٧٠٢م[٢]. وكلفه الصدر الأعظم داماد حسن باشا أن ينهي الجزء الأول عند سنة

(1) Recep Yılmaz, Naima *Yaşamları ve Yapıtlarıyla Osmanlılar Ansiklopedisi*, Yapı Kredi Kültür Yayıncılık, İstanbul ,1999, C.2 s.340-341.

(2) Münir Aktepe, Naîmâ Tarihi'nin Yazma Nüshaları Hakkında, TD, I/1 (1949), s. 35-52. Mehmet İpşiri, Naima, DİA İstanbul 2006, cilt 32, s.316-318.

١٥٩٢، على أن يتضمن الجزء الثاني سنوات ١٥٩٢-١٦٦٠، وأن يتناول في باقي الأجزاء السنوات ما بين ١٦٦٠ إلى ١٧٠٢، وهي السنوات التي يعد هو شاهدا عليها ومعاصرا لها، وقد استجاب نعيمة لطلب الصدر الأعظم، ثم أضاف إلى هذا الكتاب رسالة مستقلة تناولت واقعة أدرنه، عرفت فيما بعد برسالة أدرنه. يقول الباحث التركي محمد البشيري: وبالاطلاع على الرسالة وتحليلها تبين أن نعيمة تناول أحداثها برؤية القصر، وبالإضافة إلى كونه المؤرخ الرسمي للدولة، كانت هناك صلة قرابة بينه وبين الصدر الأعظم السابق حسن باشا، وبالتالي اتهم نعيمة بأنه كتب هذه الرسالة خصيصا لمدح حسن باشا وإظهار دور بطولي له في الواقعة[١].

كتاب شفيق نامه:

ويعد كتاب "شفيق نامة" أثرًا أدبيًّا فنيًّا صور واقعة أدرنه سنة ١٧٠٣م في شكل يحتوي على كثير من السجع والمحسنات اللفظية، الذي جعل لغة كتابته معقدة إلى حد ما. ويتكون كتابه من تسعة فصول، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة، وأقدم نسخة مخطوطة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٧٠٦م. وطُبع "شفيق نامه" في استانبول سنة ١٨٦٦م، وبسبب صعوبة ألفاظه؛ أجريت عدة شروح له بعد ذلك[٢]. ووجدت نسخة بخط شفيق أفندي باسم "مُوضَح شفيق نامه"، وهي نسخة شارحه للمؤلف السابق بلغة أكثر وضوحا وبترتيب مختلف، وبدأه من جلوس السلطان أحمد الثالث على العرش في أدرنه في أغسطس ١٧٠٣م، وتحدث باختصار، عن الأحداث الناتجة عن تصرفات فيض الله أفندي في استانبول، واختصر الأحداث اختصارا اتهم فيه بالخلل خصوصا ما يتعلق بواقعة أدرنه، ولكنه تحدث باستفاضة عن فيض الله أفندي نفسه. وفى هذا الأثر كانت مصادر المؤلف عبارة عن ما سمعه من المقربين من الواقعة، ومما شاهده

(1) Mehmet İpşiri, Naima, DİA İstanbul 2006, cilt 32, s.316-318.
(2) DİA, Şefik Mehmed Efendi, İstanbul 2010, c. 38, s.415-417.

بنفسه أو رآه واطلع عليه في الدفاتر المخفية في الديوان، ولم يهتم بالروايات الأخرى. وتوجد نسخ كثيرة من هذا الأثر في مكتبات استانبول، وهي في متناول الجميع، ومجانية[١].

تاريخ روضة الكبرا لأحمد حسيب[٢]:

تعود أهمية هذا المصدر إلي كونه لايزال مخطوطًا محفوظًا في مكتبة جامعة استانبول برقم " ٨٥ أحمد حسيب أفندي"، وهو مخطوط خليط بين التاريخ والأدب، فهو يجمع بين النثر والشعر، وقد تعامل مع الأحداث التاريخية المهمة بشكل أدبي، لكن لغته كانت أوضح من لغة شفيق أفندي، ورغم أنه إذ يعد مصدرًا أدبيًا فإنه في أثناء حديثه عن واقعة أدرنه تجنب المحسنات والسجع الأمر الذي جعل مادته العلمية أقرب للواقعية التاريخية، وقد بدأ أحمد حسيب تاريخه بالأحداث التي وقعت في عام ١٧٠٣ والمعروفة بأحداث أدرنه.

وكان يُعتقد أن كتاب الروضة ذيلا لكتاب حديقة الوزراء Hadikatü'l-Vüzerâ لعثمان زاده تائب، لكن فيما بعد أكد أحد الباحثين في المصادر العثمانية أن كتاب الروضة إنما هو عمل مستقل، وليس ذيلا لكتاب أو لكتب سابقة عليه[٣].

وبالرغم من أهمية الواقعة في التاريخ العثماني وأهميتها أيضًا بالنسبة لمؤرخي الدولة بشكل خاص، فقد لجأ أحمد حسيب أفندي أثناء كتابة هذه الواقعة إلى مصدر واحد من السابقين عليه، واقتبس منه تفاصيل هذه الواقعة، وهو كتاب "تاريخ راشد"، كما نقل عنه تحليلاته.

---

(1) DİA, Şefik Mehmed Efendi, İstanbul 2010, c. 38, s.415-417..

(٢) النسخة المنقحة بخط المؤلف محفوظة في مكتبة جامعة استانبول برقم ٨٥.

(3) GÖKER İNAN: AHMED HASÎB EFENDİ'NİN MECMÛA-İ TEVÂRÎH'İ, Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Edirne, 2013, s.29.

وبالرغم من ذلك تبين بعض الاختلافات بين ما ذكره أحمد حسيب وما ذكره راشد، وقد تبين أن أحمد حسيب أفندي كان ينقل بالمعنى أحيانا، مما أوقعه في بعض الأخطاء أثناء ذكر بعض التفاصيل، ومن ذلك مثلا حينما تناول قضية قتل فيض الله قال:

"وقد جاء في تاريخ راشد عن وضع المرحوم فيض الله أفندي، وننقل هنا وفقًا لما جاء فيه أن صغار العلماء الصغار قاموا بتعذيب فيض الله أفندي لمدة ٣ أيام، ولم يتركوا شبرا في جسده المبارك سليمًا، وتعدوا عليه وأذوه، وعندما أقر بأمواله تركوه، وتم نفي فيض الله وأولاده وأتباعه وطردهم وإبعادهم.

وكان طلاب العلم ينظرون إلى تعذيبه وبعض الطلبة الصغار يعذبونه، وأخرجوه من مكانه وأركبوه على بغل وساروا به في الأسواق، وقام بعض الأشخاص السفلة والأراذل بضرب جسد مفتي الإسلام الطاهر، وساعدهم السفهاء في ذلك وألقوا الجسم الشريف، وهو جسد فيض الله، في نهر طونة."[١]

بينما تناول راشد الواقعة بتفاصيل مختلفة، ولم يذكر ما قاله أحمد حسيب، وإن اقترب المعني، لكن ما قاله أحمد حسيب على لسان راشد إنما بدا فيه تبديل واضح للأحداث. وذلك علي النحو التالي:

"تم القبض على مفتي الإسلام السيد فيض الله أفندي ومن أولاده نقيب الأشراف فتح الله أفندي وصدر الأناضول مصطفى أفندي والمعزول من بورصة السيد أحمد أفندي والمعزول من بكشهرى السيد إبراهيم أفندي، تم القبض عليهم وأخرجوهم من أدرنه وأرسلوهم إلى وطنهم الأصلى أرضروم، ولما لم تسكن فتنة أرباب الفساد الذين يريدون تخريب الدين والدولة، أسقط في يد الوزير الأعظم، ماذا يفعل؟ فاضطر إلى تسليمهم إلى العصاة، وفضل الضرر الخاص عن الضرر العام، فركبوا السفينة من

(١) أحمد حسيب أفندي: روضة الكبراء، مخطوط، جامعة إستانبول، رقم ٨٥، ورقة ٩٢.

ميناء وارنه، وذهبوا إلى أرضروم، وقام بتعذيبهم في السجن كل من: قره قاش مصطفى وهو سباهي، وطوربجانلى أحمد وهو انكشاري، وكوجك على وهو جبه جي، وجلادون غيرهم، عذبوهم بدون رحمة لمدة ٣ أيام، ولم يقتنعوا بتعذيبهم، وقالوا: طالما المفتي على قيد الحياة فإن أولاده وأتباعه سوف ينجون ولا يقرون بمكان الأموال المختفية فقرروا قتله بموجب فتوى، وأفتوا بالجواز؛ لأن المفتي كان يستخدم قلمه في الغدر وظلم الناس ويعمل بهوى النفس، ووقعوا على الفتوى، وأخرجوه من السجن وركبوه على بغل ومعه حمال وساروا به في الأسواق وشهروا به، ومسكوه وألقوه في نهر طونة، وفعلوا كما فعل ابن ملجم، وترك هذا الأمر إلى يوم النشور، وتم نفي أولاده على جزيرة قبرص."[١]

هنا يبدو أن راشد ذكر أن التعذيب والقتل كان على يد الثوار من الجيش والانكشارية، بينما ذكر أحمد حسيب أن التعذيب والقتل كان على يد الثوار من صغار العلماء وطلبة العلم المتضررين من سياسة فيض الله الذي كان شيخا للمؤسسة الدينية، وهذا الاختلاف له دلالاته المهمة؛ لأن هناك فارقا بين أن يكون إنهاء مسألة فيض الله على يد المنتمين للمؤسسة العسكرية، وأن يكون على يد المنتمين للمؤسسة الدينية.

الدراسات السابقة:

تم تناول هذه الواقعة في بحثين سابقين باللغة التركية، أما البحث الأول فقد نشر في الموسوعة TDV ISLAM ANSIKLOPEDISI في المجلد العاشر في ثلاث صفحات ما بين ٤٤٥ – ٤٤٧، وتعد ورقة بحثية كتبها الأستاذ الدكتور عبدالقادر أوزجان وقد ركز فيه على واقعة أدرنه وفق مصدر "شفيق نامه"، ولم تكن هذه الدراسة عميقة بالقدر الكافي؛ نظرًا لصغر حجمها، لكن أهميتها تعود إلى أنها تفتح الطريق

(١) راشد محمد أفندي: راشد تاريخي، إستانبول ١٢٨٢هـ، ج ٣، ص٧٧.

أمام الباحثين عن وجود قضية كبيرة بهذا الحجم يمكن دراستها بشكل أكثر عمقًا. وقد تناول الدكتور أوزجان واقعة أدرنه وفق مصدر معاصر لمحمد شفيق أفندي يعرف بـ "شفيق نامه" وبالتالي تعد هذه الورقة البحثية ترجمة من العثمانية القديمة إلى التركية المعاصرة لنص تاريخي مهم، كما تعد ورقته البحثية مادة خام يمكن الاستفادة منها بشكل كبير، بينما البحث الذي نحن بصدده يتناول الدور الذي لعبه فيض الله في هذا العصيان معتمدًا على تحليل المادة التاريخية التي قدمها الدكتور أوزجان، كما يحاول البحث الوصول إلى كيفية تحول شيخ الإسلام من شخص له وجاهته الاجتماعية والدينية إلى شخص غير مرغوب فيه أو مكروه من قطاع كبير في المجتمع العثماني، وعلى المنشغلون بالمؤسسة السياسية، وإن كان الدكتور عبدالقادر لم يعط تفاصيل كافية عن فيض الله نفسه، وكيفية تدرجه في السلك العلمي والوظيفي، لذا سعت الدراسة هذه إلى سد نقاط النقص في الورقة البحثية التي قدمها أستاذنا الدكتور عبدالقادر، ولا أنسى أن أذكر أن من المميزات التي ظهرت في دراسة الدكتور أوزجان أنها أظهرت كيفية تشكيل الأحزاب السرية داخل المؤسسات العسكرية والسياسية للتخلص من فيض الله[١].

بينما الدراسة الأخرى فكتبها، الأستاذ الدكتور طاهر سافينتش، وهو أستاذ مساعد التاريخ الحديث، وقد نشرت في مجلة كلية الآداب والفنون جامعة بطمان تركيا، بتاريخ ٢٠١٧/٠٧/١٤، وقد حمل البحث عنوان: "التحديات في عصر السلطان مصطفي الثاني"، والبحث يقع في عدد صفحات بلغت ١٨ ورقة، تناول فيها مجموعة من التحديات التي واجهت الدولة في عصر السلطان مصطفي الثاني بدأ بحثه بالتحدي الأشهر بالنسبة للسلطان مصطفى الثاني ومواجهته سيطرة ونفوذ عائلة " كبرولو"، ثم ذكر التحدي الثاني وهو عصيان أدرنه، وكيف تعامل السلطان مصطفي الثاني معه؟

([1]) dülkaderÖZCAN: EDIRNE VAKASI, TDV, C10, Istanbul, 1994, s.445.

ودور هذا العصيان في خلع السلطان. وكان هدف الدكتور طاهر ورؤيته من البحث هو التركيز على نقطة "تعدد العناصر"، وأظهر أنها كانت سببًا من أسباب كثرة التحديات في الدولة العثمانية والمؤدية إلى ضعفها، ويقصد بتعدد العناصر كثرة الأعراق في الدولة، وأن الدولة منذ نشأتها كانت تعتمد على العرق التركي في بناء الدولة وبعد دخول العناصر الأخرى بعد الفتوحات في أوروبا دخلت الدولة في منعطفات خطيرة كادت تعصف ببقائها واتخذ من عصيان أدرنه نموذجًا لإثبات هذه الرؤية، وبالتالي يفسر الدكتور طاهر التاريخ تفسيرًا قوميًّا، ولربما كان ذلك أحد المآخذ على البحث؛ لأن القضايا القومية والصراعات لأجل العرق لم تظهر بالشكل المعروف إلا مع منتصف القرن التاسع عشر، ومع ظهور مبدأ القوميات في أوروبا، أي بعد أحداث هذا العصيان بحوالي قرن ونصف. وبالتالي تختلف رؤية البحث الذي نحن بصدده عن رؤية الدراسة السابقة، حيث يتم دراسة الواقعة في إطارها الزمني والمكاني، فالقرن السابع عشر لم يشهد نزاعات أو رغبات قومية تكون سببًا في إحداث صراعات سياسية، كما أن الإطار المكاني وهي الدولة العثمانية لم تكن حتي نهايات القرن التاسع عشر محل للنزاعات العرقية. وبالرغم من ذلك ، وبصرف النظر عن مسألة صواب رؤيته من خطئها، اختلفت رؤية البحث الجديد الذي نحن بصدده عن رؤية الدراسة السابقة، فلم يكن من جملة أهداف الدراسة بحث القضية القومية أو العرقية كما بحثها الدكتور طاهر، إنما الهدف يتمثل في الوقوف على التفاصيل التاريخية للواقعة للوصول إلى البعد في العلاقة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية. وما نتج عن هذه العلاقة ومستقبل المؤسسة الدينية بعد فيض الله أفندي.

وكان محور دراسة الدكتور طاهر التحديات التي واجهت السلطان، لذا كان عصيان أدرنه ضمن هذه التحديات، فتناول العصيان كجزء من التحديات بينما الدراسة التي نحن بصددها تتناول فيض الله أفندي كجزء من العصيان، بل كونه

فاعلا رئيسًا في حدوثه، وفي السياق ذاته تناول الدكتور طاهر أحد أسباب العصيان الذي تمثل في العداء التي نشأ بين عائلة كوبرولو ممثلا في الصدر الأعظم حسين كوبرولو وبين السلطان، ونتج عن هذا العداء أن قرب السلطان إليه فيض الله ليحد من نفوذ الصدر الأعظم الذي وجد السلطان نفسه مقيدًا أمام نفوذ هذه العائلة. وقد رأى الباحث أن تفسير الدكتور طاهر يحتاج إلى تحقيق وتحليل، حيث إن تسلسل الأحداث التاريخية يشير إلى أن الصدر الأعظم لم يكن مصدر خطر أمام السلطان أو قراراته، ولم تظهر أي صدامات بين الصدر الأعظم وبين السلطان قبل تولي فيض الله منصبه، بل ظهر أن الذي خلق عداء بين الصدر الأعظم وبين السلطان إنما هو فيض الله، وقد رأى هذا البحث أهمية معالجة هذه النقطة.

ولهذا نجد أن الدراسة السابقة كانت مركزة على موقف السلطان مع العصيان، ورأت في موقفه اتجاهًا سلبيًّا في التعامل مع واقعة بهذا القدر الكبير، ومع ذلك، لم يفصل الدور المهم الذي لعبه فيض الله أفندي في هذا العصيان، والذي يعد السبب الحقيقي لهذا العصيان. وبناء على ذلك، نتناول هذا الدور المهم لمعرفة كيف لعب شيخ الإسلام دورًا مهمًّا في واقعة سياسية؟ وكيف أثرت هذه الواقعة في مسار التاريخ العثماني في بدايات القرن الثامن عشر عموما ومسار المؤسسة الدينية وعزلها بشكل واضح عن التدخل في الحياه السياسية؟ ومن ثم تثار من ذلك إشكالية يجب طرحها، وهي: هل كانت تلك الإجراءات التي اتخذها القصر عقب هذا العصيان من عزل رجال المؤسسة الدينية عن القصر تعد بدايات العلمانية في الدولة العثمانية وإرهاصاتها المبكرة؟ وهذا ما يحاول هذا البحث معالجته[1].

---

(1) Tahir SEVİNÇ: II.MUSTAFA'NIN İKTİDAR MÜCADELESİ VE 1703 EDİRNE İSYANIYLATAHTTAN İNDİRİLMESİ, OsmanlıMirası Araştırmaları Dergisi, C.4, Sayı 9, Temmuz 2017, s. 25-42.

وأخيرا: لم تكن مسألة جمع المصادر العثمانية الأصلية المتعلقة بالبحث أمرًا صعبًا، ففي الفترات الأخيرة، أصبحت المصادر العثمانية متاحة للباحثين بشكل طبيعي دون عناء أو انتظار مزيد وقت للحصول على مصدر أو مرجع قديم، لكن الصعوبة الحقيقة التي واجهت الباحث تتمثل في ترجمة هذه المصادر، فكثير منها كان يعتمد على أساليب أدبية فارسية، وتراكيب جمعت بين العربية والتركية، ومحسنات وسجع غير مستخدم في اللغة التركية المعاصرة، فكانت الحاجة ملحة للاستعانة بالأصدقاء المتخصصين في الأدب التركي والعثماني القديم، مع اللجوء المستمر للقواميس القديمة؛ لأن المؤرخ العثماني في تلك الحقبة كان مهتمًّا بإظهار مهارته الكتابية عن طريق حسن الترتيب، وربط الجمل بلاغيًّا عن طريق كثرة استخدام السجع والبلاغة أكثر من المعلومة التاريخية نفسها، ولذلك تمثلت الصعوبة الثانية التي واجهت الباحث في التوقف كثيرًا أمام المعلومة التي يقدمها المؤرخ العثماني بعد أن يعزلها من سياقها الأدبي ويسوغها في قالب تاريخي بعد تحقيقها وتنقيحها ومقارنتها بمثيلتها في المصادر الأخرى.

طبيعة العلاقات بين المؤسسات في الدولة العثمانية:

تعد الدولة العثمانية دولة مؤسسية، وكان القصر على رأس الهرم المؤسسي فيها، ويقع تحت سيادة القصر ثلاث مؤسسات تتحكم في سياسات الدولة وإداراتها، وهي مؤسسة الباب العالي ويرأسها الصدر الأعظم وكان يعد الشخص الثاني في الدولة بعد السلطان والمتحكم في إدارات الدولة بأمر السلطان، وكان الصدر الأعظم هو الهيئة التنفيذية لقرارات السلطان. وكانت المؤسسة الدينية والعلمية (أرباب القلم) هي المؤسسة التي تلي الصدر الأعظم والباب العالي، ويترأسها شيخ الإسلام، ويعد شيخ الإسلام مسئولا عن أكبر مؤسستين متماسكتين في الدولة العثمانية، مؤسسة القضاء ومؤسسة التعليم، وكان يتم تعين شيخ الإسلام بصدور فرمان من السلطان عن طريق

ترشيح الصدر الأعظم لعدة قامات علمية كبيرة في الدولة، يختار السلطان من بينهم الشخص الذي يراه المناسب[١].

وكانت المؤسسة الثالثة هي المؤسسة العسكرية، ويأتي على رأس هذه المؤسسة أغا الانكشارية، وهو رئيس القوات الحربية ورئيس القوات الخاصة (الانكشارية) في الدولة، ويتم تعيينه من بين أشهر القيادات شهرة حربية وقتالية، ويظل في منصبه حتى موته، أو تقصيره في معركة أو إخفاقه في تكليف كلفه به السلطان، وبالإضافة إلى كونه رئيس المؤسسة العسكرية، كان قائد الجيش الانكشاري الذي يعد المحور الرئيس لقوات حفظ الدولة العثمانية.

وكانت العلاقة بين المؤسسات الثلاث متوازنة، ويظل هذا التوازن قائمًا مادامت قوة القصر هي المسيطرة، ويحدث الخلل في هذا التوازن في الأوقات التي يتولى فيها سلاطين صغار أو ضعاف مقاليد القصر، وهنا تظهر سيطرة الصدر الأعظم وقوته[٢].

وإذا ما تزامن مع ضعف السلطان، ضعف الصدر الأعظم، تظهر قوة شيخ الإسلام، لكن ما حدث في نهايات القرن السابع عشر كان مدهشا، فالقصر كان متماسكًا، والباب العالي بقيادة الصدر الأعظم في ذروة قوته، وبالرغم من قوة القصر وسيادة السلطان مصطفى الثاني الكاملة على مفاصل الدولة، فإنه حدث نزاع بين المؤسستين السياسية الدينية؛ نظرًا لزيادة نفوذ شيخ الإسلام، وانزعج الصدر الأعظم من تصرفاته، وهنا تزامن وجود شخصيتين قويتين تنازعتا السيطرة على قرارات السلطان، ورجحت كفة شيخ الإسلام كونه مقربا للسلطان، وكان السلطان متعلقًا به

---

(١) عبدالرحيم بنحادة: العثمانيون، لمؤسسات والاقتصاد والثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨، ص٨٨.

(٢) ظلت هذه العلاقة متوازنة حتي أواخر القرن السادس عشر وبعدها بدأ ضعف سيطرة السلاطين علي الإنكشارية، التي كانت أقرب فرق الجيش إلى السلطان. ماجدة مخلوف: الدولة العثمانية من الإصلاح إلي الحداثة، دار البشير، القاهرة، ٢٠٢١، ص ٦٣.

تعلقًا قلبيًّا، فقد كان معلمه وأستاذه منذ الصغر، وكان رفيقًا له أثناء ولايته للعهد، فلما تم تعيين مصطفى الثاني سلطانًا، كلف بتعيين فيض الله شيخا للإسلام بتكليف مباشر دون الرجوع إلى ترشيحات الصدر الأعظم، فبدأت بين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام حرب باردة، كانت شرسة، ولم يصف أحدهما للآخر، واستمرت هذه الحرب عدة سنوات انتهت بأحداث عظيمة في الدولة، منها ما يتعلق بنقل إقامة السلطان من العاصمة استانبول إلى مدينة أدرنه، ومنها ما أدى إلى تحالف بين المؤسسة العسكرية والصدر الأعظم ضد المؤسسة الدينية، وكانت هذه ظاهرة جديدة من نوعها في الدولة العثمانية لم تظهر من قبل، وكانت من جملة الأحداث الكبرى أن أدت هذه الأزمة إلى خروج الجيش على السلطان فيما عرف بعصيان أدرنه ١٧٠٣[١].

فيض الله أفندي:

ولد فيض الله في ١٦٣٩، وينتهي نسبه إلى جلال الدين الرومي شمس الدين محمد التبريزي، وكان يسكن منطقة أذربيجان، وقتل عدد من عائلته أثناء اضطرابات الشيعة في قراباغ، فهاجر من تبقى من العائلة من قراباغ إلى أرضروم واستقروا بها، وبعد فترة ذهب فيض الله مع والده الشيخ محمد وأخوته إلى استانبول، وتمكنوا من لقاء السلطان مراد الرابع؛ ونظرًا لكونهم عائلة علمية وتنتمي إلى جلال الدين الرومي، فخصص لهم السلطان مزرعة كبيرة في أرزنجان، لزراعتها ومنح والده وظيفة تكفي احتياجاتهم[٢].

وقد تلقى فيض الله تعليمه في أرضروم برعاية والده والمقربين منه، وبعد أن هدأت فتن الشيعة في أذربيجان ذهب إليها من أجل استكمال تحصيله التعليمي، وأكمل تعليمه على يد الشيخ "الفاني محمد أفندي" ثم عاد إلى أرضروم، وتزوج من

---

(١) يمكن مراجعة أحداث عصر السلطان مصطفى الثاني في كتاب: محمد مقصود أوغلو: التاريخ العثماني ١٢٨٨–١٩٢٢، دار الجذورة، إستانبول، ٢٠١٩، ص ٢٢٩–٢٣٨.

(2) Tahir Seviniç, s.20.

ابنة شيخه عائشة خاتون. وكان شيخه قريبا من الدوائر السياسية، فقدمه إلى لوالي أرضروم "فاضل أحمد باشا" الذي أظهر له الاحترام والتقدير والتمس فيه النبوغ العلمي والذكاء، وكان والي أرضروم صديقا لـ"محمد باشا" الذي صار وزيرا أعظم، وهذه الصداقة فتحت الأبواب أمام فيض الله، فقد دعاه الصدر الأعظم محمد باشا إلى أدرنه عام ١٦٦١م، وعندما ذهب الشيخ "فاني محمد أفندي" إلى استانبول أثنى على فيض الله وعلمه، ودعاه إلى استانبول ١٦٦٤م[١].

ومدح الشيخ "فاني محمد أفندي" فيض الله للسلطان محمد الرابع، فكلفه السلطان بأن يدرس الطلاب النابغين في إقليم أدرنه، وقد جرت العادة في الفترة الأخيرة أن يقضي السلطان فترة الصيف في قصر أدرنه، فاستقر فيض الله في أدرنه بجوار أستاذه والسلطان. وبعد ٣ سنوات من بقاء فيض الله في أدرنه، كتب شيخ الإسلام "عمر المنقاري يحيى أفندي" بتعيين فيض الله أمينا للفتوى تمهيدا للالتحاق بالهيئة العلمية، لكن معلمه منعه من قبول هذا التكليف؛ لأنه ينتهى بالعمل في المولويات وكان شيخه "فاني أفندي" قد رغب في أن يظل فيض الله في الهيئة التدريسية؛ لأن العمل في التدريس قد يصل به إلى وظائف إدارية عليا[٢].

وفي عام ١٦٧١، أمر السلطان محمد الرابع بتعيين فيض الله معلما لابنه الأمير مصطفى الثاني؛ ونظرا لأن معلمي أبناء السلاطين لهم قواعد تنظيمية وشروط لم تتحقق في فيض الله، أمر السلطان بترقية فيض الله إلى رتبة مدرس صحن ثم إلى مدرس في مدرسة مهرماه سلطان في اسكدار في استانبول، ثم مدرس في مدرسة السلطان الفاتح. وبعد ذلك، عمل مدرسًا في صحن السليمانية، ثم مدرسًا في آيا صوفيا ثم مدرسة السليمانية، وفي عام ١٦٧٣، منحه السلطان محمد الرابع رتبة

(1) Bursalı Mehmed Tâhir, Osmanlı Müellifleri, c3, İstanbul, 1971, 116.

(2) Göyünç, Nejat, "Tanzimata Kadar Osmanlı Devletinde Taşra Teşkilatı", Osmanlı, Yeni Türkiye Yayınları, VI, Ankara 1999, s. 79-84.

قضاء إستانبول، ثم عمل مدرسًا في دار الحديث في السليمانية، ثم صار مدرسًا لابن السلطان الأمير مصطفى، فاكتسب فيض الله نفوذًا كبيرًا بين رجال الدولة أثناء عمله معلما لابن السلطان(١).

وفي عام ١٦٨٣، كانت القوات العثمانية محاصرة لفيينا بأمر من الصدر الأعظم، ولم يكن السلطان محمد الرابع على علم بالحصار إلا بعد أسبوعين منه، وكان ذلك دليلا على نفوذ عائلة كوبرولو، والذي تمثل في القدرة على اتخاذ القرارات المهمة دون الرجوع للسلطان. ولكن، لما أخفقت القوات في فتح فيينا، وفشل الحصار، انقلبت إدارات الدولة، وصار المقربون من السلطان بعيدين عنه لتقصيرهم في إخبار السلطان، وتم عزل الصدر الأعظم، وتمت معاقبة كثير من رجال الدولة، وتم نفي بعضهم، وكان ممن تعرض إلى هذه الحملة التي أطلق عليها القصر "حملة التطهير" "فاني أفندي" الذي تم نفيه إلى بورصة، وتم عزل فيض الله من تعليم الأمير مصطفى، وتم إرساله إلى مدرسة اسكدار، وتم تعيين "قره إبراهيم باشا" صدرا أعظم، وكانت بينه وبين فيض الله عداوة شخصية لأن الصدر الأعظم استشف فيه رغبات سياسية وتدخلات إدراية مستغلا قربه من الأمير مصطفى، فسعى إلي تدبير قضية كاد أن يقتل فيها فيض الله في عام ١٦٨٦م، لكن تدخلت الشفاعات، وتم إغلاق القضية والاكتفاء بشطب اسمه من سجل العلماء(٢).

وبعد مكوث فيض الله مدة في مدينة إسكدار، جاءت له الرسل من القصر بتكليفه بالعودة إلى تدريس الأمير مصطفى، وجاء في كتاب شفيق أفندي أن الذي شفع له هذه المرة السلطانة، زوجة السلطان ووالدة الأمير مصطفي "أمة الله خاصكى

([1]) Tahir Seviniç, s.24.

([2]) İsmail H. Uzunçarşılı, Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1984, s.174.

سلطان كولنش"، وتم إدراج اسمه مرة أخرى في سجل العلماء، وتم تكليفه أيضا برئاسة قضاء منطقة أيوب، ولمع اسمه في القصر وتم تعيينه نقيبا للأشراف في ١٦٨٧[١].

وأصبح فيض الله الرجل الأول في المؤسسة الدينية، فجاء تعيينه شيخا للإسلام في المرة الأولى ١٦٨٨م، وكانت الإضرابات والمكائد تعصف بالقصر السلطاني، وكانت ظروف تعيين فيض الله شيخا للإسلام محل جدل كبير نظرا للقفزات السريعة التي حصل عليها في السلم الوظيفي، فاستغل أعداؤه كثرة الأحلاف في القصر، وتم فتح القضية القديمة التي اتهم فيها، ومن ثم اضطر السلطان إلى إصدار فرمان بعزله، وتم نفيه إلى أرضروم وبقي في المنفي حوالي ٧ سنوات، وفي هذه الأثناء، حدثت تغيرات جذرية في القصر، فتم عزل السلطان محمد الرابع بواسطة ممثلي عائلة كوبرولو في الصدارة العظمي، وتم تعيين الأمير مصطفى الثاني سلطانا، وعند جلوسه على العرش كان أول ما فكر فيه السلطان الجديد هو إيجاد شخص قوي يحجم نفوذ رجال القصر الموالين لعائلة كوبرولو، فدعى السلطان فيض الله أفندي، رجل الدين ذات الرغبات السياسية الغير محدودة، إلى استانبول، وعينه شيخا الإسلام للمرة الثانية[٢].

وحاول الصدر الأعظم "سورملى على باشا" إبعاد فيض الله عن وظيفة شيخ الإسلام؛ لأنه كان يعلم أنه سيتدخل في أعمال الصدر الأعظم بل والسلطان. وكان الصدر الأعظم "سورملي على باشا" قد اجتمع بالسلطان مرتين لهذا الأمر، ولكن السلطان رفض طلبه، وفي تلك الظروف، فوجئ الجميع بعزل الصدر الأعظم ثم نفيه، وبعدها تم قتله هناك[٣].

---

(١) شفيق محمد أفندي، شفينامه، تصوير أفكار مطبعه سى، إستانبول ١٢٨٢هـ، ص ٦٩.

(2) İpşirli, Mehmet, "Klasik Dönem Osmanlı Devlet Teşkilatı", Osmanlı Devleti Tarihi I, Ed. Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul 1999, s. 139.

(3) İsmail H. Uzunçarşılı, s.181.

وكان السلطان الشاب مصطفى الثاني يعلق آماله في السلطة بمعلمه فيض الله، فكان يسمح له بالتدخل في أمور الدولة باستمرار، الأمر الذي شجع فيض الله أن يدخل في نقاشات كثيرة مع كل من يتولى منصب الصدر الأعظم، وكان كثير الجدل معهم، ولم يتوقف عن التدخل في شئونهم، ثم جاء فصل الصيف الذي يشهد انتقال السلطان إلى أدرنه المقر الصيفي للسلاطين، وقد انتقل السلطان مصطفى بصحبة فيض الله إلى أدرنه وبعد انتهاء فصل الصيف أقنع فيض الله أفندي السلطان أن يظل في قصر أدرنه، وألا يعود إلى قصر استانبول حاليا، فتحول الثقل الإداري في الدولة من إستانبول إلى أدرنه، وكذلك تحولت موازين القوي الاقتصادية والاجتماعية أيضًا من إستانبول إلى أدرنه، فضعفت مكانة استانبول في مقابل علو مكانة أدرنه، فحدثت اضرابات داخلية، وغضب مجتمع إستانبول، وأصبح المجتمع في حالة احتقان داخلي لتضرره من بقاء السلطان في أدرنه لمدة تجاوزت الثلاث سنوات[١].

صراع فيض الله مع الوزراء:

ترك السلطان لمعلمه فيض الله التدخل في أمور الحكم والإدارة كيفما يشاء، لذلك حدث صراع بينه والذين جاءوا في فترة مشيخته، وهم "عمجه لي زاده حسين باشا كوبرولو"، و"دلتبان مصطفى باشا"، و"رامي محمد باشا". ونتج عن هذا الصراع أن فقد أول اثنين حياتهما، بينما لعب الثالث دورًا مهمًّا في صناعة واقعة سميت في التاريخ بواقعة أدرنه للانتقام من فيض الله.

وكانت الدولة تمر بظروف استثنائية نظرا لفشلها في فتح فيينا ودخولها في معاهدة كارلوفتش التي أهانت الكيان العثماني أمام ساسة أوروبا، وكان الصدر الأعظم حسين باشا يريد التصرف بحرية في إدارة الدولة من أجل الإصلاح والسير

([1]) Tahir Seviniç, s.22.

على خطى أجداده من آل كوبرولو[١]، وقد حقق نجاحات بالفعل في هذا الشأن، لكن السلطان لم يسمح له بالتصرف بحرية مطلقة؛ لأنه يعلم أن عائلة كوبرولو لها تاريخ في عزل السلاطين، فقد شارك الصدر الأعظم السابق بقوة في عزل والده محمد الرابع من العرش، ولم يسمحوا بتعيين مصطفى الثاني بمرونة، بل كانت هناك ضمانات لتعيينه، منها: أن يظل أحد أفراد العائلة في منصب الصدر الأعظم أو يتم ترشيحه من قبلهم، لذلك كان عقل السلطان الإداري يميل إلى الشيخ الإسلام فيض الله أكثر من ميله إلى الصدر الأعظم، وقد أدى ذلك إلى عرقلة عمل الصدر الأعظم حسين باشا[٢].

وكان فيض الله أفندي على علم بتاريخ عائلة كوبرولو في الإصلاح، وكانت سياستهم في الإصلاح أحيانا تكون عنيفة، فتارة إذا استدعى الإصلاح عزل السلطان، قاموا بعزله، وإذا استدعى الإصلاح الاغتيال، فعلوا، وكان فيض الله يعلم أنه الآن أمام تحد شرس مع عائلة كوبرولو، لذلك أقدم على مصاهرتهم، وقد قبل الصدر الأعظم هذه المصاهرة السياسية لضمان بقاء العائلة في السلطة طيلة وجود فيض الله

---

(١) عائلة كوبرولو من أشهر العائلات التي تولت منصب الصدر الأعظم وقد تم ترشيحها في فترة من الفترات أن تحل محل آل عثمان في السلطنة، Bursalı Mehmed Tâhir, Osmanlı Müellifleri, c3, İstanbul, 1971, 116. ويعود تأسيس هذه العائلة إلي **محمد باشا كوبرولو** ذات الأصول الألبانية وهي أسرة تألف منها وزراء ومُحاربين ورجال دولة هيمنوا على الشؤون الإدارية في الدولة العثمانية خلال النصف الأخير من القرن السابع عشر، وهي الحقبة التي عُرفت بالحقبة الكوبرولية، وقد تولي ثمان من أبنائها منصب الصدر الأعظم، ولد محمد باشا عام ١٥٧٥ تقريباً في مدينة كوبرى وإليها نسب، وتوفي في ٣١ أكتوبر ١٦٦١ في أدرنه. ساهم محمد باشا في إعادة بناء قوة الدولة العثمانية عن طريق اجتثاثه للفساد وإعادته لتنظيم الجيش العثماني، مما أدى إلى توسيع حدود الدولة بعد أن نجحوا في هزيمة المجريين والبنادقة..Mehmed Süreyyâ, Sicill-i Osmânî, İstanbul, 1971, c5, 173-174.

(2) Zeynep Tarım Ertuğ, “Edirne’de yapılan son cülus töreni”, Edirne Serhatteki Payitaht, İstanbul 1998, s. 165.

بجوار السلطان، فزوج فيض الله أفندي بناته بأولاد من عائلة كوبرولو ليضمن الاتفاق معهم.

وكان فيض الله يتدخل في كافة أمور الدولة معتمدًا على الصلاحيات التي أخذها من السلطان، فقام بتمكين أعوانه ومساعديه في مفاصل الدولة، فطلب من السلطان أن يعين "نذير أغا" في منصب أغا استانبول، فصار " نذير أغا" رجلا من رجال فيض الله وشرع في عرقلة عمل الصدر الأعظم حسين باشا، فكانت بعض الإجراءات الإدارية الخاصة باستانبول تمرر بسرعة إذا ما صدرت الأوامر من شيخ الإسلام فيض الله، بينما إذا جاءت الأوامر الإدارية من طرف الصدر الأعظم حسين باشا، فإن لم ترفض، فإنها تعطل وتعقد. ولما حدثت الخلافات بين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام حول بعض التعيينات في الدولة، وكانت هذه التعينات متعلقة بالإدارة ومؤسسات الدولة غير الدينية، كان السلطان يدعم شيخ الإسلام ويؤيده[١].

وشعر حسين باشا بالعجز أمام نفوذ فيض الله، فدفعه ذلك إلى التآمر على السلطان والسعي إلى عزله، فكلف ابن أخيه "قبله لى زاده علي بك" أن يتفق سرًّا مع الأمير أحمد الثالث "الأخ الأصغر للسلطان" ضد السلطان مصطفى الثاني، وقد وضع حسين خطة للتخلص من مصطفى الثاني، وعزل شيخ الإسلام الذي يتدخل في أمور الدولة، وكان من المشاركين في هذه الخطة أحد كبار القادة يدعى "كخيا حسين باشا حسن"، وفي صباح تلك الليلة التي اتفق فيها أتباع عائلة كوبرولو، فوجئ الجميع بإصدار فرمان من السلطان بعزل "الكيخا حسين باشا" من منصبه وإعدامه، لكنه تمكن من الهروب[٢].

([1]) Özcan, Abdülkadir, "III. Ahmed", DİA, II, İstanbul 1989, s. 34-8.

([2]) Şutoy, V. E., "Osmanlı Devleti'nin 1700-1709 Kuzey Savaşı Yıllarındaki Tutumu", Belleten,1986, s. 207.

وعندما سمع الصدر الأعظم حسين باشا بالفرمان الصادر ضد الكخيا حسين باشا ظن أن خطته في خلع السلطان قد كشفت، ولكنه لم يكن على يقين من ذلك فطلب التقاعد، وانسحب من الصدارة ١٧٠٢، وذهب إلى ضيعته في إقليم سيلفرى في أطراف إستانبول، وتوفي بعدها بفترة بسيطة في ظروف لم تكن واضحة، وقيل: إن صراعه مع فيض الله على السلطة هو الذي أدى إلى مرضه بداء القلب ثم وفاته، وقد أيد هذه الرواية مصطفي نعيمة في تاريخه[١].

وتم تكليف "دلتبان مصطفى باشا" بمنصب الصدر الأعظم، وعين في ١٧٠٢ بترشيح من فيض الله، وكان الصدر الأعظم الجديد منفيا منذ ١٠ سنوات بعيدًا عن مركز الدولة، وتم تكليفه والسلطان مصطفى الثاني يجلس في أدرنه، وقد ترك أمور السلطة في يد شيخ الإسلام فيض الله، وكان يظن أنها تسير بشكل جيد لثقته فيه، وترك القرارات المهمة في الدولة له وكان الوزير الأعظم صورة فقط لا يخرج عن طوعه، وكان فيض الله يتدخل في كل شيء والصدر الأعظم صار في عزلة وظيفية، وجاء في فرمان التعيين من قبل السلطان مصطفى توصيات صريحة للصدر الأعظم مفادها: إن أردت الاستمرار فلا تخرج عن طاعة شيخ الإسلام[٢].

وكانت العادة قديما عندما يعين الصدر أن يذهب شيخ الإسلام على يساره في البروتوكول، لكن دالتبان كان يسير على يسار شيخ الإسلام، فدلت هذه الإجراءات على اختراق فيض الله لبرتوكولات الدولة ليظهر للجميع مدى قوته، وكان الصدر الأعظم يستقبل شيخ الإسلام في الباب العالي مقبلا عليه ومستقبلا له من المدخل الرئيس وكان يفعل كذلك مع أولاد فيض الله[٣].

---

(١) مصطفى نعيما، روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين (تاريخ نعيما)، طبعة إبراهيم متفرقة: قسطنطينية، ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ج٦، ص ١٩.

(٢) راشد محمد أفندي: راشد تاريخي، استانبول ١٢٨٢هـ، ج ٣،ص٤٠.

(3) Göyünç, Nejat, s. 79–84.

وبدأ شيخ الإسلام يتدخل في المعاهدات بين الدول، وحدث أن تدخل في معاهدة الصلح مع الروس، وحذره الصدر الأعظم "دالتبان" من ذلك، لكن فيض الله أصر على التدخل في فرض بنود معينة للصلح مع الروس، فسرعان ما انقلب فيض الله على "دالتبان" الذي صرح في جلسات خاصة مع كبار رجال الدولة أنه لن يحدث إصلاح في الدولة إذا لم يتم التخلص من شيخ الإسلام والقضاء على نفوذه، فدبر فيض الله مؤامرة ضده واشتكاه إلى السلطان، فتم عزله وإعدامه، وكان إعدامه سببًا في تقلب الأحوال في استانبول، وتكلم فيها المجتمع بكل فصائله، وصارت قضية فيض الله قضية عامة، وحزن الناس على "دالتبان"، وكتب الشعراء عنه ونقدوا السلطان، واتهموا فيض الله بالخيانة(١).

وقد كلف السلطان رامي محمد باشا بالصدارة العظمي، وكلفه بعدم الخروج عن طاعة فيض الله، وكان رامي باشا قد جاء للوظيفة بتوصية من شيخ الإسلام أيضًا، لكن الوضع كان يسوء في كافة الأصعدة، فالاحتقان مشتعل في استانبول، والباب العالي بكافة موظفيه في حالة عدم رضا، ومؤسسة القضاء والتعليم في حالة انزعاج من فساد فيض الله في المؤسسة الدينية، فقد عمل على وقف الترقيات ليفتح الطريق أمام أبنائه، وأمام هذا الاحتقان، اتفق رامي باشا مع الوزير الثاني حسن باشا ضد فيض لله سرا، للوقف أمام فساده وإجراء إصلاحات قوية في الدولة(٢).

الفساد الإداري لفيض الله أفندي:

استطاع فيض الله بعد توليه منصب مشيخة الإسلام أن يجمع ثروة ضخمة من الدولة عن طريق التلاعب في الأوقاف، كما عين أبناءه على الرغم من صغر سنهم في أهم مواقع الدولة، وكذلك عين أصهاره وإخوتهم، وكانت طيلة الفترة التي عمل فيها

---

(١) Tahir Seviniç, s.32.

(٢) أحمد حسيب أفندي: روضة الكبراء، مخطوط، جامعة إستانبول، رقم ٨٥، ورقة ١٠٣.

فيض الله شيخا للإسلام، والتي بلغت تسع سنوات ونصف في عهد مصطفى الثاني، لم يرق أحد من المدرسين إلى درجة أعلى، فكان يرقى أولاده وأقاربه فقط، وكان ذلك من أسباب اضطراب المجتمع(١).

وفي أغسطس ١٦٩٦ قام فيض الله بتعيين ابنه "سيد فتح الله" في قضاء "ينى شهر" برتبة استانبول، وكان قضاء إستانبول معادلا لقضاء مكة والقاهرة، وكان القاضي فيها على درجة مالية كبيرة؛ نظرًا لدرجته العلمية العالية، وبالتالي يعتبر، فإن تعيين ابنه في قضاء "يني شهر" المدينة الصغيرة برتبة إستانبول يعد خرقًا للقوانين المتعارف عليها، وليس هذا فحسب، فلم تمر عدة أيام حتى منح ابنه رتبة مالية بدرجة الأناضول، وهي أعلى من درجة إستانبول المالية، وظل على هذا الوضع حتى عام ١٦٩٨م، فنقله من قضاء "يني شهر"، وأمر بتعيينه في قضاء عسكر الأناضول. وفى ديسمبر من العام نفسه عينه قاضي عسكر الروملي، وهذا يعني أنه يهيئه لمشيخة الإسلام من بعده، فالمنصب الذي يلي قاضي عسكر الروملي هو مشيخة الإسلام، وفى السنة نفسها عينه نقيب الأشراف، وبهذا يكون أمّن لابنه الوصول إلى مشيخة الإسلام من بعده(٢). ويذكر أحمد حسيب أفندي أن فيض الله استطاع أن يستصدر فرمانا من السلطان بتاريخ ٢٣ فبراير ١٧٠١م من أجل تعيين ابنه في المشيخة بالفعل(٣).

يفهم من ذلك أن فيض الله قد خطط منذ فترة طويلة لتعيين ابنه مكانه واستخلافه في مشيخة الإسلام، فقد عينه في قضاء عسكر الأناضول، ثم الروملي، ثم نقابة الأشراف من أجل الوصول إلى هدفه، وكان السبب في منحة قضاة يني شهر برتبة إستانبول أن رتبة قضاء عسكر الأناضول تمنح لمن يعملون في رتبة قضاة إستانبول فقط. ومن جانب آخر كان العمل كقاضي عسكر الروملي يجب أن يسبقه العمل

---

(1) A.S. Alderson, Osmanlı Hanedanın yapısı, İstanbul, 1998, s.115.

(2) Tahir Seviniç, s.42.

(٣) أحمد حسيب أفندي: روضة الكبراء، مخطوط، جامعة إستانبول، رقم ٨٥، ورقة ٨٨.

كقاضي عسكر الأناضول. وبداية من القرن السابع عشر كان من يعمل في قاضي عسكر الروملى أو نقيب الأشراف يكون مرشحًا لمنصب شيخ الإسلام(١). وبخلاف ابنه فتح الله سابق الذكر، فقد قام بمنح ابنه الثاني "سيد مصطفى" في سبتمبر ١٦٩٨م قضاء سلانيك برتبة أدرنه، وفي يناير ١٧٠٢ عينه في قضاء مكة. وعين ابنه الثالث "سيد أحمد" في قضاء بورصة برتبة أدرنه في يونيو ١٦٩٩م، وفى العام نفسه عينه في قضاء عسكر الأناضول(٢).

وقد عين ابنه الرابع "سيد إبراهيم" في قضاء "ينى شهر" في يناير ١٧٠١م، وفى يناير ١٧٠٢ عينه معلم الأمير محمود برتبة استانبول، ثم عينه في قضاء الأناضول في أبريل ١٧٠٣م، ثم قضاء الروملى في مايو ١٧٠٣م.

وبخلاف تعيين أولاده في وظائف مهمة في الدولة عين أيضًا ابن عمه وصهره "سيد دده احمد افندي" في درجة مدرس صحن في السليمانية، ثم في قضاء جلطة عام ١٧٠٠ ثم قضاء إستانبول ثم الروملي، وصهره الآخر "سيد محمود أفندي" عينه في قضاء سلانيك برتبة أدرنه، وفي ٧ أبريل ١٧٠٣م عينه في قضاء إستانبول. وعين صهره الثالث "كوبرولو زاده عبد الله باشا" في النيشانجي في ديسمبر ١٧٠١م، ثم عينه قائمقام إستانبول برتبة الوزارة في مارس ١٧٠٢، وبخلاف أولاده وأصهاره عين فيض الله أخيه "السيد أحمد أفندي" في ديسمبر ١٦٩٥م في قضاء بغداد، وفي يونيو ١٦٩٦ في قضاء أزمير، وفي يونيه ١٦٩٩ في قضاء مكة(٣).

---

(1) İsmail H. Uzunçarşılı, Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1984s.152-166.

(2) Tahir Seviniç, s.42.

(3) Uzunçarşılı, İ. Hakkı, Osmanlı İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara 1962.

وبينما كان فيض الله يرقى أولاده وأقرباءه في الرتب العليا في الدولة لم يكن يسمح لباقي أعضاء الدولة والموظفين في الدرجة الأولى في الوظائف العلمية أو العسكرية بمنح رتبة الوزارة سواء بالترقي أو بالتعيين، فكانوا ثابتون في مناصبهم دون ترقية، كل هذه الأحداث كانت سببًا في تذمر موظفي الدولة، ومن ثم أسهموا في شحن العامة وشحن الطبقات العسكرية الدنيا، وكانت تعاملات شيخ الإسلام فيض الله في القطاع القضائي قد أدت إلى تذمر فئة العلماء، فكان ابنه الذي لا يزال في سن مبكر يعمل في وظيفة عالية ولم يتجاوز عمرة السادسة عشر، ولكن الفرمان الذي استصدره من السلطان بتعيين ابنه "فتح الله" من بعده في مشيخة الإسلام هي النقطة المفصلية التي أدت إلى ما لم يكن يتوقع، وخصوصًا أنه أول فرمان يستصدر من نوعه ويتعلق بتعين شيخ الإسلام، فلم يحدث قط في تاريخ المؤسسة أن تم توريث هذا المنصب(١).

إن ما فعله شيخ الإسلام فيض الله قلب الأصول المتبعة في الدولة خصوصًا في مسألة التعيينات، فجميع الوظائف العلمية المهمة كانت في يده وقد منحها للمقربين منه فقط، وكان قطاع كبير من العلماء في انتظار الترقيات وفقا للنظام المتبع، ولم يتمكنوا من الصعود إلى درجة أعلى من درجتهم التي هم عليها، مما جعلهم يعانون من ضيق العيش من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فكان العلماء ينتظرون أكثر من ٩ سنوات ليتم تعيينهم في وظيفة قاض، ومع كل هذا الانتظار لم يتم ترقيتهم(٢).

فكان النظام المتبع عند تعيين القضاة في المدن الكبرى مثل بورصة وأدرنه وأزمير أن ينتقلوا بعدها إلى قضاء كبير مثل مكة، والقاهرة والقدس، لكن بسبب كون درجات الدولة العلمية في يد شيخ الإسلام فلم يصل أحد منهم، فظل هؤلاء العلماء في

---

(1) Ünal, Mehmed Ali, Osmanlı Müesseseleri Tarihi, Fakülte Kitabevi, Isparta 1997.

(٢) راشد محمد أفندي: راشد تاريخي، إستانبول ١٢٨٢هـ، ج ٣،ص٤٢.

مكانهم مضطرين إلى انتظار دورهم الذي لن يأتي، فالقضاة الذين يرقون من أقضية بلادهم، مثل قضاء أيوب، وقضاء جلطة، وقضاء إسكدار كانوا ينتظرون فترة طويلة بدون عمل، ثم يضطرون إلى العودة إلى الوظيفة نفسها دون ترقية، وهؤلاء المدرسون الذي جاء دورهم في الترقية لرتبة قاض كانوا مضطرين إلى العمل في القضاء براتب المدرس، وبالتالي كانوا يعانون من شظف العيش. ونتج عن ذلك أن انتشر الحقد في قلوب العاملين في الهيئة العلمية من المدرسين والقضاة تجاه شيخ الإسلام فيض الله وأبنائه وأصهاره وأقاربه ومن تم تعيينه بواسطته[١].

بداية العصيان والثورة:

في أوائل شهر يوليه ١٧٠٣ تفاجأت قيادة الجيش العثماني المتجه إلي جورجيا في مهمة حربية، بتجمع مجموعة من الجيش لطلب مستحقاتهم المالية المتأخرة، وذهب قادة هذه المجموعة وقد تجاوز عددهم ال ٢٠٠ عسكري إلى مركز القيادة، وقالوا له: لقد أمرتمونا بالخروج للحملة، لكن نحن نريد ١٠ أقساط من المرتبات المتأخرة[٢]، وتعالت أصواتهم أمام قائدهم، فوعدهم بالحديث في هذه المسألة مع القيادة القيادة العليا لرفع الأمر للسلطان، وطالبهم قائد الحملة بعدم إحداث فتنه، خصوصًا وأن هناك أعدادًا كبيرة لها أقساط مالية متوقفة، وقال لهم: اذهبوا، وسوف تصلكم المتأخرات في عقبكم، وأدرك ممثلو هذا التجمع أن في تفريقهم خطرًا على حياتهم، فلربما يتم إرسال من يقوم بتصفيتهم، وكان هذا رأي أحد القادة الذي طالبهم بالتجمع لمطالبة المستحقات المتأخرة.

ومن ثم، رفضت المجموعة الانصياع للأوامر العسكرية، وتوجهوا لسراى "فضلي باشا"، وتجمهروا أمامه معترضين على الذهاب في الحملة العسكرية لجورجيا، قائلين: لن نتحرك خطوة واحدة من هذا المكان، حتي يتم صرف المستحقات المتوقفة، وتحدثوا

([1]) Kantemir, Dimitri, Osmanlı İmparatorluğu'nun Yükseliş ve Çöküş Tarihi, çev. Özdemir Çobanoğlu, Cumhuriyet Kitapları, II, İstanbul 1999.

([٢]) راشد محمد أفندي: مصدر سابق، ج٢، ص ٥٩٠.

بخشونة وعناد، وأصروا على كلامهم، ووعدهم فضلي باشا بعرض الأمر على الصدر الأعظم في البريد المستعجل[١]، فلما وصلت المسألة إلى الباب العالي، أراد أن يستغلها بشكل يزيد من الاحتقان دون أن يشعر أحد بتدبيرات خفية من الصدر الأعظم، فأمر بصرف بعض المرتبات لبعض العساكر دون الأخرى.

وذكر المؤرخ راشد أفندي، المعاصر لهذه الواقعة، أنه لما صارت هذا الأزمة قامت الدولة بصرف المرتبات، وكانت كاملة لطائفة الانكشارية والعساكر السباهية، وتسلموا مرتباتهم من الديوان في سراي الباب العالي، بينما باقي الوحدات من "الجبهجى" و"الطوبجى" و"الطوب عربه جى" و"البستانجى" تسلموا أقساطًا، وبالتالي لم يحصلوا على متأخراتهم المالية بالشكل الذي رغبوه، وبقيت لبعضهم مرتبات أربعة أقساط أو خمسة، بل بقي لبعضهم متأخرات وصلت إلى عشرة أقساط[٢]. وهذا مؤشر يدل على أن الباب العالي لم يرد حل المشكلة، بل أراد تعقيدها أكثر، ووضع النظام الذي يدير الدولة في أزمة حقيقية مع المؤسسة العسكرية.

وكان للمؤرخ المعاصر للواقعة، وهو راشد أفندي، رؤية أخرى تشير إلى أن هذه الواقعة إنما هي مدبرة، فقد ذكر أن المرتبات المتبقية التي يدعيها الـ٢٠٠ جندي من "الجبه جي" ليست بالأمر عظيم، لكن يبدو أن هذه فرصة استغلها فصيل، فحركوا أسافل الناس، واتخذوا هذا الأمر ذريعة، فصعدوا سقف المطالب، وذهب القائد "سكبان باشى مرتضى أغا" ومعه مساعداه "جبه جباشى" و"كتخدا الجبه جي" إلى حضرة القائمقام باشا، وعرضوا عليه مطالبهم، وبعد الاطلاع عليها خشي من زيادة القلاقل والاضطرابات، ورأى أن أهون الشرين هو السرعة، وينبغي الاستعجال في دفع مرتبات هؤلاء؛ لأن الشدة والعنف معهم قد يؤدي إلى اشتعال الفتنة[٣].

---

(١) شفيق محمد أفندي، شفينامه، تصوير أفكار مطبعه سى، إستانبول ١٢٨٢هـ، ص ٧١.
(٢) راشد محمد أفندي: مصدر سابق،ج٢، ص ٥٩١.
(٣) المصدر سابق، ج٢، ص ٥٩٤.

وفى الحال طلب القائمقام باشا بتوفير مرتابتهم المتبقية على وجه السرعة، وإرسالهم صوب مأموريتهم، وقام القائمقام بكتابة قائمة عما حدث وأرسلها إلى السلطان، وعندما وصلت هذا الأخبار إلى القصر في أدرنه، حمل فيض الله أفندي حدوث هذه الواقعة إلى عجز القائد العسكري "جبه جباشى"، فأمر بعزله وتعيتن مكانه أمين الصرة (قائد قافلة الحج) السابق "بوسنوي إبراهيم أغا" في وظيفة "جبه جباشى"، ولما وصل أمر عزل القائد إلى الباب العالي عمل على إثارة العساكر عن طريق قائدهم السابق، وبالتالي اتسعت دائرة الفوضى وكثرت المؤامرات والجبهات داخل القصور السلطانية[١].

كانت هذه رؤية راشد أفندي لهذا الحدث، واتفقت معه رؤية صاحب كتاب "نصرتنامه" بشكل كبير، إلا إنه بعد أن ذكر الأحداث بتمامها قال: وأظن أن تأخر المرتبات ليست وراء هذا العصيان، وتساءل مستنكرًا: هل من المعقول أن يتسبب مجموعة جنود تأخرت رواتبهم في عصيان بهذا الحجم؟ والذي دفعه إلى هذا الاستغراب أن هناك فصائل عسكرية أخرى تتأخر رواتبها ولديها مستحقات أكثر من مستحقات الجبه جي، وأعدادها أكبر، ومن حيث القوة والتأثير أكبر أيضًا، لكن صاحب كتاب نصرتنامه لم يفصل في هذه النقطة أكبر من ذلك[٢]، لكنه أشار في موضع آخر من كتابه إلى أن شيخ الإسلام كان يمسك الوظائف في يده ويعطيها لأقاربه فقط، ولم يرق موظفي الدولة الآخرين، مما أثار حفيظتهم ضد شيخ الإسلام المقيم بجوار السلطان في أدرنه، فتم تكوين جبهة ضده في إستانبول، وكان على رأس هؤلاء الذين كونوا جبهة ضد شيخ الإسلام، "مورهلى داماد حسن باشا" الذي عمل،

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩٩.

(2) Mehmet Topal, Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa Nusretname Tahlil ve Metin 1106-1133/1695- 1721, Yayınmamış Doktora Tezi, Marmara Üniversitesi, İstanbul2001, s.589.

ولفترة طويلة، في وظيفة وزير ثان ولم يترق بسبب فيض الله، وكان معه "سوهرابلى أحمد باشا" و"فراري حسن باشا"، وانضم إليهم قائد الجيش وأغا الإنكشارية "أحمد جاليك أحمد أغا"[١]. وهذا يشير إلى أنه أراد أن يقول: إن انتفاضة الجنود كانت بتدبير من القيادات العسكرية الكبرى بالتعاون مع موظفي الباب العالي المتمركزين في إستانبول.

لقد استغل القادة العسكريون عدم وجود السلطان في استانبول، فقد رجح البقاء في أدرنه، وقد جاء إشارات أخرى في كتب التاريخ المعاصرة لهذه الأحداث إلى أن هذه المجموعة العسكرية المتمردة قد ساندها بشكل معنوي مجموعة من العلماء الذين لم يترقوا منذ سنوات، فكان قضاء إستانبول وقاضي عسكر الأناضول والروملى في يد أبناء فيض الله أفندي، لذلك لم يجروا تعيينات أو ترقيات لأحد، وكان هذا الأمر سبب امتعاض بين العلماء من الدرجة العالية، وسببًا في حدوث رد فعل لهم، وأضافت هذه المصادر أيضا أنه علاوة على انضمام فصيل من العلماء إلى عصيان العساكر، فقد انضم إليهم أيضًا السياسيون والإداريون المتضررون من سيطرة فيض الله أفندي، فقد مكن فيض الله رجاله في وظائف سيادية وسياسية مثل وظيفة أغا دار السعادة والسلحدارية وبوستانجية أدرنه، وكبار وظائف السراي من الدرجة العليا؛ وقد تسبب ذلك في عدم رضا القصر العثماني، وبالتالي، أصبحت قطاعات كبيرة متهيئة للتمرد علي السلطان أو المشاركة في أي تمرد مهما كان حجمه، ومهما كانت أسبابه[٢].

وفي تلك الأثناء كان السلطان مصطفى الثاني مشغولا بالصيد في أدرنه ونواحيها، ومنذ فترة طويلة كان بعيد عن مركز الدولة في إستانبول؛ ونظرًا

([1]) Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa, Nusretnâme, s.589.

([٢]) شفيق محمد أفندي، شفينامه، تصوير أفكار مطبعه سى، استانبول ١٢٨٢هـ، ص ٧٥.

للاضطرابات الاقتصادية التي حدثت في إستانبول نتيجة هجران السلطان لها، فقد تأثر كثير من التجار والصناع ومعظم أهالي إستانبول، فانضم معظم الصناع والتجار والناس غير الموظفين في الدولة إلى الوحدات العسكرية التي أعلنت تمردها، فقد شجع تمرد الـ٢٠٠ سالف الذكر جميع قطاعات الدولة من سياسيين وعلماء وصناع وتجار، وشجع ذلك أيضًا كثيرًا من الوحدات العسكرية الأخرى على التمرد، فقامت أول حركة نظامية وتحت قيادة برتبة عالية ضد السلطان في سنة ١٧٠٢م، وقد قام بها (أمير آخور أول) "قبله لي زاده على بك" وهو أحد أقارب الصدر الأعظم السابق "عمجه زاده حسين باشا"، وهذا يشير إلى أن القيادة السياسية المتمثلة في الصدر الأعظم استطاعت أن تثير المؤسسة العسكرية وتضمها إليها في صراعها مع فيض الله أفندي(١).

كان الصدر الأعظم الجديد "رامي محمد باشا"، الذي تم التنبيه عليه من طرف السلطان بعدم الخروج عن طوع شيخ الإسلام، يظهر بمظهر الطائع لشيخ الإسلام فيض الله أفندي، إلا إنه كان كثير اللقاءات مع الداماد حسن باشا قائد "عساكر الجبه جي"، وهي المجموعة التي أعلنت عصيانها نتيجة تأخر المرتبات. وقد ذهب المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث راشد أفندي إلى أنهما وضعا خطة سرية لمواجهة شيخ الإسلام والموجودين حوله، وأداروا حركة ضد السلطان والسلطة الموجودة في أدرنه، وكان من جملة الخطة تحريض "بوشناق إبراهيم أغا" رئيس أول وحدة "الجبه جي" على الاستمرار في العصيان، وعدم قبول المرتبات المدفوعة، ورفض تأخير الأقساط، والمطالبة بالمرتبات المتأخرة كاملة أو على الأقل دفع ١٠ أقساط منها وبشكل عاجل(٢).

---

(١) Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa, Nusretnâme, s.596.

(٢) راشد محمد أفندي، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٠٠.

وقد ذكر مصطفي نعيمة أن المقاومة بدأت في ١٧ يوليو ١٧٠٣م؛ ونظرًا لعدم وجود السلطان في إستانبول كان هناك سهولة في توسع دائرة هذا التمرد، فانضم إليهم صغار الرتب من الانكشارية والعلماء وطلاب المدارس، فتحول التمرد إلى عصيان كبير، ثم انضم إليهم بعد ذلك التجار والصناع، وقائد السجن الحربي فأطلق سراح المحبوسين في سجن أغا قابيسي، فانتشروا في عموم إستانبول، وكان أقارب فيض الله أفندي الذي جعلهم في وظائف مهمة في استانبول من قليلي الخبرة لذلك لعبت قلة تجربتهم وخبرتهم دورًا كبيرًا في انتشار العصيان بشكل كبير في البلاد، فقد عجز قائمقام إستانبول "عبد الله باشا" المعين من قبل فيض الله عن تدارك الأزمة، بل عجز عن الحصول على المعلومات الكافية لإرسالها إلي أدرنه، واطلاع فيض الله على مستجدات الأحداث في إستانبول[١].

ولقد لعبت قلة الخبرة السياسية من أتباع فيض الله دورا كبيرا في زيادة أعداد الثوار، فقد كلف قائممقام إستانبول عبدالله باشا قائد حرس المدينة "سكبان باشى مرتضى أغا" بقمع العصاة، فاستطاع أحد الانكشارية قتله، وهربت عساكره فتوجه العصاة إلى منازل الأثرياء وحصل النهب، وكان من جملة المسروقات منازل فيض الله أفندي وأولاده في إستانبول، ولم تسلم منازل كبار رجال الدولة فسرقت بالكلية، ثم توجه الثوار إلى القصر السلطان فصرف "بوستانجى باشى محمد أغا" النظر عن مقاومة العصاة وانضم إليهم، وفتح الطريق لهم لدخول قصر إستانبول الخالي من السلطان.

واستطاعت المجموعة التي أعلنت التمرد من السيطرة على إستانبول، فقاموا بتعيينات جديدة لموظفي الدولة من الدرجة العالية، وعينوا "سهرابلى أحمد باشا" في

---

(١) مصطفى نعيما، روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين (تاريخ نعيما)، طبعة إبراهيم متفرقة: قسطنطينيه، ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ج٦، ص ٣٢.

الصدارة العظمى، والشيخ محمد أفندي في مشيخة الإسلام، وأرسلوا هيئة من العلماء إلى السلطان في أدرنه لإخباره بمطالبهم، لكن تم القبض على هذه الهيئة من طرف فيض الله أفندي وتم نفيهم، وعندما علم السلطان مصطفى الثاني (الذي لم يكن لديه علم بتطور الأحداث منذ البداية أو بموضوع اعتقال الهيئة القادمة من إستانبول) عن طريق تقرير سري مرسل إليه من طرف "بوستانجى باشى" قائد حرس قصر إستانبول؛ غضب كثيرًا، وأرسل للصدر الأعظم لمناقشته، وعاتبه عما يجري، فذكره الصدر الأعظم بأنه أوصاه من قبل بعدم الخروج عن أمر شيخ الإسلام(١).

لقد حاول السلطان مصطفى الثاني أن يتدارك الموقف فأبلغ العصاة في إستانبول أنه ينوي عزل فيض الله أفندي ونفيه هو وأولاده إلى أرضروم، وكان السلطان يريد بذلك فتح طريق للتواصل مع المتمردين(٢)، لكن العصيان أصبح في وضع لا يمكن التحكم فيه، حتى إن رامي محمد باشا الصدر الأعظم والذي اتهمه المؤرخ راشد أفندي بتدبير العصيان أو على أقل تقدير السماح به، أصبح هو الآخر في وضع أكثر صعوبة. وبعد أن جاءت الأخبار للعصاة بالقبض على الهيئة المرسلة من قبلهم قرروا التوجه إلى محل إقامة السلطان في أدرنه، ولما علموا بنية السلطان في عزل فيض الله لم يعبئوا بهذا العزل، وأعدوه عزلا ظاهريًا لا يخلو من مناورة، من فيض الله نفسه(٣).

كانت قوة العصاة المتجهة إلى أدرنه تتكون من حوالي ٦٠ ألف شخص من الجبه جية والانكشارية والطوبجية والبوستانجية والتجار والصناع والحرفيين، وتحركوا نحو أدرنه تحت قيادة "دوروجان أحمد باشا"، وجاءت الأخبار إلى السلطان بتطورات

---

(1) Silâhdar, Nusretnâme, s.138.
(2) Silâhdar, Nusretnâme, s.141.
(3) Özcan, Abdülkadir, “III. Ahmed”, DİA, II, İstanbul 1989, s. 34-8.

العصيان وتحركاته، فأمر بأخذ التدابير الدفاعية اللازمة في أدرنه، وفي الوقت ذاته كلف بإيجاد الحلول السياسية عن طريق تشكيل حكومة جديدة، وعندما وصل الثوار من إستانبول إلى سيلفرى وهي مدينة في منتصف الطريق إلى أدرنه، اجتمعوا، وقرروا خلع مصطفى الثاني من العرش وتعيين أخيه أحمد الثالث مكانه، وهذا مؤشر على أن الذي أدار العصيان من البداية، إنما هي الإدارة السياسية ممثلة في الباب العالي، فقد كانت هناك خطة من قبل الصدر الأعظم السابق حسين باشا بعزل السلطان وتعيين الأمير أحمد بدلا عنه، لكنها لم تكتمل.

ولما علم السلطان بنية الثوار في العزل، أرسل مصطفى الثاني وحدات عسكرية من أدرنه تحت قيادة "جاقيرى حسن باشا"، لكن حسن باشا انسحب، ولم يصطدم مع القوات القادمة من إستانبول، أما الوزير الأعظم رامي محمد باشا فقد قرر عمل دروع لحماية أدرنه.

وهكذا انقسم الجيش العثماني إلى فرقتين، قوات إستانبول، وقوات أدرنه، وحدثت مراسلات بين قادة الجيوش انتهت باتفاق قوات أدرنه مع القوات القادمة من إستانبول، وتم الاتفاق على عدم الصدام، والنظر فيما تؤول إليه الأحداث[١].

تعامل فيض الله أفندي مع العصيان:

اتسعت ساحات العصيان في إستانبول وأدرنه، وارتفع سقف مطالب القوات الثائرة، فوعدهم الوزير الأعظم بدفع رواتبهم بأقساطها ومعها مقدار ٢٠ كيس آقجة زيادة لهم، كما وعدهم بتحقيق مطالبهم المتعلقة بالترقيات، وتم منحهم حجة مختومة من السلطان بعدم التعرض لهم أو عزلهم أو حبسهم أو التعرض لهم بعد سكون

(١) Şeyhî Mehmed Efendi, Vekāyiu'l-fuzalâ (nşr. Abdülkadir Özcan), III-IV, İstanbul 1989.

العصيان، لكنهم صمموا في رفع مطالبهم، يقول أحمد حسيب أفندي: *"وكلما زاد الوزير في الاستمالة زادوا هم في البغي والعصيان"* (١).

وزاد الاتصال بين الثوار في إستانبول وسليفري وأدرنه، وتم عقد راية العصيان في أحد أكبر ميادين إستانبول الكبرى ويسمى "آت ميدان"، وكان تجمعهم في الميادين سببًا في انضمام عامة الناس إليهم. وقد أدى ذلك إلى تشاور قائمقام إستانبول مع "سكبان باشى" في مسألة كيفية مواجهة هذا العصيان لحين قدوم أوامر السلطان، فاتفقوا على عرض الأمر على علماء القصر وكبار رجال الدولة في إستانبول لحين قدوم أوامر السلطان من أدرنه(٢).

وقام رجال فيض الله بإرسال خبر إلى العلماء وسائر الأعيان والضباط، ودعوهم إلى القصر، وأمروا الانكشارية والبستانجية بتجهيز الآلات الحربية وإحضارها بسرعة، وأخرجوا السنجق الشريف واتفقوا على مواجهة العصاة، وأصدر رجال فيض الله من العلماء الفتاوي التي تنص على أن هذه المجموعة عاصية وقد خرجت على الدين والدولة، وتم نشر هذا الخبر في كل مكان. وبعد دعوة العلماء والأعيان من أتباع فيض الله إلى القصر، أسرعوا في قبول الدعوة وتجمع عدد كبير منهم، لكن اعتذر صهر شيخ الإسلام الذي يشغل منصب قاضى إستانبول "السيد محمود أفندي" والذي كان يعلم تفاصيل الواقعة من القائمقام باشا، ويعلم سبب الخلل منذ أسبوع ولم يتحرك ساكنا أو يتناقش مع شيخ الإسلام بهذا الخصوص، وقرر القائمقام باشا وفئة العلماء من أتباع فيض الله الرباط في القصر الهمايوني لمنع حدوث حريق، فقد جاء إلى مسامع القائمقام باشا أن القائمين على العصيان يخططون لحريق القصر(٣).

---

(١) أحمد حسيب أفندي: مخطوط سابق، ورقة ١٠٤.
(٢) راشد محمد أفندي: مصدر سابق، ج٣، ص١٨.
(٣) مصطفى نعيما: مصدر سابق، ص ٣٤.

وجاء في تاريخ راشد ما نصه:

"ومن أجل عدم حدوث مفاسد، اقترح أغا الانكشارية إغلاق أبواب السراي، وألح سكبان باشى على هذا الأمر، لذلك تم قفل الأبواب، وعندما سمع العصاة الموجودون في "آت ميدان" بهذه التدابير، توجهوا نحو السراى الهمايوني، وهجموا على باب الأغا وكان مغلقًا، وتم تكثير سوادهم وانتشرت الفتنة والفساد، وقرروا الذهاب إلى سراى القائمقام، ففر من في القصر، وهجموا على من بقي من الموجودين، وقالوا لهم: إن سيدنا ذهب أمس إلى السراى الهمايوني ولم يأت بعد، اذهبوا إليه ولا تتصرفوا بسوء معنا. وقرر العصاة الحرب والقتال بعد القيل والقال، ونزلت رصاصات من القصر أصابت رصاصة أحد عساكر "الجبه جي" فمات، فزاد ذلك من شدة العصيان وأراد كل شخص الانتقام لأخيه، وانتشرت عصبية الجاهلية، فهجموا على القصر ونهبوه، واستولوا على فرو السمور الفاخرة واقتسموها فيما بينهم[١]".

ويرى المؤرخ راشد أفندي أنه بالرغم من تمركز المناصب الرفيعة العالية في أيدي أولاد شيخ الإسلام فيض الله أفندي وأتباعه وأصهاره وأشياعهم، مثل قائمقام إستانبول ونقابة الأشراف ورئاسة قضاء الروملى والأناضول وقضاء إستانبول، وسائر أمور الدولة، فإنه لم يخطر على بال أحد قط أن تحدث فتنة كهذه في يوم من الأيام، ولعل الذي أدى إلى ذلك قلة الخبرة السياسية والإدارية فيمن تم توليتهم المناصب من قبل فيض الله أفندي. وكعادة المؤرخين السابقين في تعليق تعليل الأحداث على القدر، ختم راشد أفندي رأيه في الواقعة بقوله: *"لكن تبدلت الأحوال وتغيرت، وإن بطش ربك لشديد، ولم ينفعه أولاده ولا أتباعه ولا أصهاره"*[٢].

---

(١) راشد محمد أفندي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٠.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤.

ومع زيادة العصيان وكثرة التجمعات من جميع طوائف الناس، هرب قائمقام إستانبول، وتم إرسال الرسائل إلى أدرنه، وتجمع قادة العصيان وذهبوا من "آت ميدان"، وفى السحر ذهبوا إلى ساحة "جامع أورطاكوي" واتخذوه مقرا لهم، وفرشوا الحصير وبدءوا في القيل والقال، وأرسلوا للناس، وجاء القضاة والمدرسون أفواجا وتم تعطيل المدارس، وتجمع العلماء ورجال الدولة، وحدث اتفاق بين الجميع، العلماء والعساكر والأغوات المتضررين ورؤساء الوحدات وصغار الجنود وكبار العساكر، على طلب عزل السلطان وإعدام فيض الله[١].

ومن ثم اشتعلت نار الفتنة، وتحدثوا عن ترك صلاة الجمعة؛ لأن الجميع رفع لواء العصيان ضد السلطان وتم إسقاط شرعيته؛ لأنه خرج عن العدل، وتحدث الناس حول مسألة صحة صلاة الجمعة في عدم وجود إمام للمسلمين من عدمه، واختلفوا فيما بينهم، وفى النهاية قرروا ترك صلاة الجمع ومنعوا صلاتها[٢].

وعندما سمع "بستانجى باشى محمد أغا" بزيادة العصيان وشدته، أخذ "العلم المبارك" الموجود في جامع أبي أيوب الأنصاري وأخفاه في القصر الهمايوني، وعندما سمع العصاة بموضوع إخفاء العلم هجموا على القصر ودخلوا، وطلبوا العلم الشريف، وفي هذه الأثناء انضم للعصاة كبار قادة الجيوش، وكان من بينهم شخص يدعى "قره قاش مصطفى باشا" انضم للعصيان انتقاما من فيض الله الذي حرمه من الاشتراك في الديوان رغم منصبه الرفيع[٣].

وقرر العصاة تعيين شيخ للإسلام في إستانبول وتم تعين المفتي "السيد على أفندي"، وتحرير طلب أرسل إلى أدرنه طلبوا فيه عزل السيد فيض الله أفندي ونقيب

---

(١) مصطفى نعيما: مصدر سابق، ج٦، ص ٣٩.

(2) Özcan, Abdülkadir, EDİRNE VAK'ASI, TDV İslâm Ansiklopedisi'nin 1994 yılında İstanbul'da basılan 10. cildinde, s.446.

(٣) راشد محمد أفندي: مصدر سابق، ج٣، ص٢٨.

الأشراف السيد فتح الله أفندي، وقاضي الروملي السيد محمد دده أفندي، وقاضي الأناضول السيد مصطفى أفندي من مناصبهم، وفيه طلب من السلطان بسرعة قدومه إلى إستانبول، وفيه أيضا: إذا وافق السلطان على قبول دعوانا ورجالنا فبها ونعمة وإلا سنتحرك من دار السلطنة إلى أدرنه، وكتبوا محضرًا بذلك وعرضوه على زمرة المشايخ المشاركة في العصيان، وأرسلوا الطلب إلى السلطان مع شخص اسمه "حسن أفندي" وهو صهر قاضي القاهرة السابق، ومعه "جلطه لى شعبان أفندي" المعزول من منصب الإفتاء تعسفا من فيض الله، ومعهم أيضًا "عيسى أفندي" واعظ مسجد السلطان سليم وهو من جملة المشايخ المعزولين، وواعظ مسجد الشاهزاده "عيسى زاده شيخ عمر أفندي" وقائد من كل فرقة عسكرية من الجبه جي والسباهية والسلحدارية والطوبجية، وكبير أرباب الحرف وسادة الأسواق وخرجوا نحو أدرنه[١].

كانت المطالب التي أرسلها العصاة مجرد إخبار السلطان بوجوب تنفيذ مطالبهم؛ لأنهم بالفعل عينوا السيد علي أفندي شيخا للإسلام، وأحمد باشا قائمقام، و"توفيقي زاده محمد أفندي" قاضي إستانبول السابق عينوه قاضي عسكر الروملى، وعينوا يحيى أفندي المعزول قاضي عسكر الأناضول، وعينوا "جالق أحمد أغا" قائدا للانكشارية، وعينوا "صالح أغا" قائد اللسباهية[٢].

وبمضي الأيام زادت الأعداد المشاركة في العصيان بشكل ملفت، ووصل حاملو مطالب العصاة إلى أدرنه، وتم عرض المطالب على الصدر الأعظم رامي محمد باشا الذي رفعها فورا لشيخ الإسلام فيض الله، فاجتمعوا في قصر شيخ الإسلام وأمرهم فيض الله بإرسال كتخدا الانكشارية إلى إستانبول، للنظر في مسالة دفع متأخرات الجنود، فيما أصر الصدر الأعظم رامي محمد باشا على أن العصيان ليس فقط

(١) راشد محمد أفندي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٠.
(٢) أحمد حسيب أفندي: مخطوط، ورقة ٨٥.

بخصوص طلب بعض الأشخاص لمتأخراتهم وطلب بالبحث في الأسباب الحقيقية وراء هذا العصيان بينما أصر شيخ الإسلام على أن سبب العصيان كامن في المرتبات، وفي هذه الأثناء تركهم كتخدا الانكشارية وخرج من المجلس وعزم على الذهاب إلى إستانبول سريعًا، وفى الصباح جاء كتخدا البلطجية للاستعلام عن الوضع، وسلم الخط الهمايوني القادم إلى شيخ الإسلام، وذكروا فيه أن سبب الفتنة هي فقط النزاع على المرتبات، فأمر بصرف منح زائدة للجنود لتسكين الوضع، على أنيتم صرفها فورا وتعطي لكتخدا الانكشارية ليوزعها على العساكر[١].

عقد مجالس التشاور في قصر أدرنه ونتائجه:

بدأ الانقسام يظهر في قصر أدرنه لعدم اقتناع شيخ الإسلام بأن هناك أسبابًا أخرى وراء هذا العصيان، ففي اليوم التالي ذهب مجموعة من القادة إلى قصر الصدر الأعظم من أجل المشورة، وكانت النتيجة دعوة فيض الله أفندي ونقيب الأشراف السيد فتح الله أفندي، وصهره حسن باشا، وقاضي عسكر الروميللي السيد محمد دده أفندي، وقاضي عسكر الأناضول السيد مصطفى أفندي، وأغا الانكشارية عثمان أغا، ودفتردار شق أول الحاج محمد أفندي، وقاضي أدرنه حسين أفندي، وأغوات السباهية والسلحدارية وسائر رجال الدولة والأعيان، وإلى قصر الصدر الأعظم، لرفض طريقة فيض الله في حل الأزمة، ومنع إرسال "كتخدا الانكشارية"؛ لأنه غير مناسب للتفاوض مع العصاة كونه شخصية عسكرية مشهورة بالشدة والقسوة، وبالتالي سيفهم العصاة من إرساله رسالة ضمنية بالتهديد، ويجب اتخاذ إجراءات أخرى أكثر فاعلية، وفتح طريقًا للحوار مع قادة العصيان[٢].

---

(١) شفيق محمد أفندي، شفينامه، تصوير أفكار مطبعه سى، استانبول ١٢٨٢هـ، ص ٧٥.

(٢) راشد محمد أفندي: مصدر سابق، ج٣، ص٣٩-٤١.

لقد تعامل فيض الله بمكر شديد في هذه الأزمة، فقد كلف رامي محمد باشا بإدارة الاجتماعات المتعلقة بحلها، وبدأ فيض الله يعلم بتفاصيل التمرد بعد خروجه من إستانبول ووصله إلى سليفري عبر رجاله والمندسين سرا بين العصاة، كما أرسل مجموعة من خواص رجاله خفية إلى استانبول من أجل التجسس عن الوضع ومعرفة ما يحدث هناك، ومن هنا علم بتشكيل وفد يتم إرساله إلى أدرنه وعلم بما جاء به هذا الوفد وما يحملونه من مطالب، وكان شغل فيض الله ألا يطلع السلطان علي التفاصيل الدقيقة لما يدور في إستانبول، وكان يجتهد أن يطلع السلطان على الأخبار المجملة فقط(١).

في الوقت نفسه الذي عقد فيه الاجتماع في قصر الصدر الأعظم أمر فيض الله وبموجب فرمان عال صادر إلى "على أغا بوستانجى باشى" بالقبض على الرسل القادمة من إستانبول، وتم تكليف مجموعة عسكرية مكونة من ٤٠٠ جندي من القوات الخاصة، وأخذوا منهم محضر المطالب، وأحرقوه بالنار بأمر من فيض الله، وقاموا بنفي الرسل وسجنهم(٢).

ولم يعلم فيض الله أن الصدر الأعظم رامي محمد باشا كان يطلع السلطان ببعض التفاصيل بطريقة أو أخرى، لذلك وفي أثناء عقد الاجتماعات وجه السلطان اللوم إلى الصدر الأعظم الذي رد اللوم علي السلطان قائلا ما نصه:

"يا سيدي صاحب العظمة منذ أن أعطيتني الختم الشريف قلت لي: إياك أن تخرج عن طوع شيخ الإسلام أو التحرك بخلاف أمره، لذلك لم أخالف فرمانكم السلطاني قط(٣).

(١) شفيق محمد أفندي: مصدر سابق، ص ٧٥.
(٢) مصطفى نعيما: مصدر سابق، ج٦، ص ٤٥.
(٣) راشد محمد أفندي: مصدر سابق، ج٣، ص٤٢.

وفي يوم الأربعاء الموافق ١٣ من شهر مايو ١٧٠٣ استدعي السلطان شيخ الإسلام إلى القصر ومعه الصدر العالي، وفى أثناء التباحث معه عن الأمور المتعلقة بهذه الفتنة، كان قد علم السلطان بالشدة والتهديد التي تعامل بها فيض الله مع الرسل القادمة من إستانبول، وقد كلف السلطان الصدر الأعظم بوجوب عمل ما يوجب الإصلاح في حق الرسل، فقال الوزير الأعظم: لا علم لي بأن هناك رسلا قد قدمت من إستانبول فنهره السلطان وزجره عن سوء إدارته وعجزه، وقال الصدر الأعظم: إن ما حدث للرسول كان من تدبير شيخ الإسلام وحده، وكان طيلة ٩ سنوات يحكم بفتاوى غير شرعية، ويحقر من العلماء ويمنح المناصب العلمية إلى أولاده وأتباعه، ويوما بعد يوم يعامل العلماء بشكل سيء[١].

كانت النقاشات حادة والاجتماعات تتم بشكل دوري في قصر السلطان في أدرنه، وفي هذه الأثناء علم الثوار بما حدث مع رسلهم فتحركوا من سليفري نحو أدرنه، فلما علم السلطان بتحرك الثوار أمر بالقبض على فيض الله أفندي وحبسه في القصر، لكن إجراءات السلطان كانت متأخرة، فقد سيطر الثوار على أدرنه وعلى القصر السلطاني وتم القبض على فيض الله، وقبل أن يتم القبض عليه من قبل رجال السلطان، حاول الهرب لكنه فشل، فأحضره الثوار عريانا، وتعاملوا معه بقسوة وعذبوه ثم قتلوه. وقام ثوار إستانبول بقتل ابنه فتح الله هناك، أما باقي أولاده وأقاربه الآخرين، فتم وضعهم في سجن "يدى كولا" لفترة، ثم تم نفيهم بعد ذلك إلى قبرص[٢].

([1]) Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa, Nusretnâme, s.599.

([2]) Özcan, Abdülkadir, EDİRNE VAK'ASI, TDV İslâm Ansiklopedisi, 1994, İstanbul, c.10, s.445-446.

وقرر الثوار عزل السلطان وتعيين الأمير أحمد سلطانا ولقب بالسلطان أحمد الثالث، وتم تسليم قصر أدرنه إلى السلطان أحمد الذي جاء من استانبول لتولي أمور السلطنة في أدرنه[١].

أثر الصراع ونتائجه على المؤسسة الدينية:

تم اختيار الأمير أحمد سلطانا وفق آداب القصر العثماني بأن يتولى ابن السلطان الأكبر سنًّا والأرشد، فلما لم يكن للسلطان مصطفى أبناء في سن الرشد كان الاختيار بين اخواته، فوقع الاختيار على الأمير أحمد الذي بالغ من العمر إحدى وثلاثين سنه، والذي كان اختياره من البداية من قبل عائلة كوبرولو، وكان أول قرارات السلطان أحمد أن قرر عزل الصدر الأعظم وعين بدلا منه " قاونوز أحمد باشا" والذي قام بدوره هو الآخر بعزل كل من كانت له صله بفيض الله، وطلب من السلطان أن يعجل بمنح "عطية الجلوس" لسائر موظفي الدولة؛ لأن ذلك أدعى لزيادة السكون[٢].

وشرع السلطان في تعيين كبار رجال الدولة وترك أمر تعيين شيخ الإسلام للصدر الأعظم الذي عرض المنصب على الثوار ليختاروا من يرونه مناسب، فوقع الاختيار على المفتي "باشمكتشي زاده علي أفندي" وكانت هذه هي الواقعة الأولى في التاريخ العثماني أن يترك تعيين رئيس المؤسسة الدينية لهيئة من خارج الإدارة السياسية، وبالرغم من ذلك؛ ونظرًا للضغوط التي مارسها الثوار علي شيخ الإسلام الجديد قام باختلاق الأعذار المرضية وطلب الاستقالة فتم تعيين "إمام محمد أفندي" بدلا منه، والذي لم يبق في المنصب سوى عده أيام، وتم عزله وعين بدلا منه "حسين أفندي" وفي هذه الأثناء ونتيجة للإضرابات التي لاتزال قائمة تم عزل الصدر الأعظم

([1]) Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa, Nusretnâme, s.598.

([2]) İpşirli, Mehmet: Paşmakçızade Ali Efendi, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2007, İstanbul c.34, s.185-166.

"قاونوز أحمد باشا" وتم تعيين "شورلولو علي باشا" الذي قام بدوره بتغير عام في مؤسسات الدولة، وقام بتعيين جديد في مناصب الدولة العليا، لكن السلطان طلب تعيين "باشمكتشي زاده علي أفندي" شيخا للإسلام مرة أخرى في مشيخة الإسلام. وقد أدى ذلك إلى قلق لدى الصدر الأعظم، فخشي أن يكون لدى شيخ الإسلام الجديد نفوذ وتأثير لدى السلطان فيؤدي ذلك إلى عرقلة الصدر الأعظم، وخصوصًا وأن شيخ الإسلام الجديد مقرب من الثوار بل هم من طلبوا تعيينه(١).

بدأ الصدر الأعظم علي باشا محاولاته في عزل شيخ الإسلام، فأوعز إلى السلطان بمخاطر وجود علي أفندي على رأس المؤسسة الدينية، مذكرا السلطان بأن تأثيره يشبه تأثير فيض الله أفندي من ناحية، ومن ناحية آخرى يعد هو الشخص المعين من قبل الثوار وقد يستمد قوته منهم، فوقع السلطان تحت تأثير الصدر الأعظم، وقام بعزل علي أفندي من المشيخة، وأصدر فرمانا بتعيين "صادق محمد أفندي" بدلا منه، وكان صادق أفندي من الشخصيات المقربة للصدر الأعظم، فاستطاع الصدر الأعظم بهذه الخطوة تأمين جبهته من الناحية السياسية والإدارية، وظل ودود الصدر الأعظم علي مدار خمس سنوات في الباب العالي لم يحدث أي نزاع بينه وبين المؤسسة الدينية التي سيطر عليها الصدر الأعظم بشكل غير مباشر(٢).

---

(1) Özcan, Abdülkadir: Defterdar Sari Mehmet Paşa, Zübdei vekayiat , türk tarih kurumu yayınları, Ankara, 1995, s.270.

(2) Andreasyan, Hrand D. "Balatlı Georga göre Edirne Vakası", Tarih Dergisi, XI, İstanbul 1969, s. 47-62

الخاتمة:

إن واقعة عصيان ١٧٠٣، والتي انتهت بعزل السلطان، لم تكن فقط نتيجة الصراع بين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام بل كانت هناك أحداث أخرى مهمة منها ما يتعلق بالقصر، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة الدينية وطرق إدارة الشئون القضائية والعلمية في تلك الفترة، ومنها ما هو متعلق بالدولة بشكل عام، وهذا كله أدى إلى ما يسمى باضطرابات القرن الثامن عشر.

من النتائج التي توصل إليها البحث أن دور فيض الله أفندي كان العامل الرئيس في القضاء على نفوذ أسرة كوبرولو، وهي أسرة نبيلة من أصل ألباني في الدولة العثمانية، وخرج من هذه الأسرة ثمانية صدور عظام كان أول ستة منهم من كبار الصدور العظام في الدولة وأشهرهم، بالإضافة إلى هذه المنصب كان من العائلة أيضًا من أصبحوا ضباطًا رفيعي المستوى، وكان عددهم كبيرًا. وقد عرف العصر الذي خدم خلاله هؤلاء الوزراء العظام باسم عصر كوبرولو في الدولة العثمانية، وقد لعب فيض الله دورًا مهمًّا في إضعاف نفوذ هذه العائلة، فكما ظهر في البحث أن الدور الذي لعبه فيض الله أدى إلى تنحية حسين باشا كوبرولو من الصدارة العظمى وقبول السلطان استقالته، وقيل: إنه مات بعدها وقيل: إن فيض الله كان له دور في موته، وهذا يشير إلى الدور الذي لعبه فيض الله في القضاء على تاريخ عائلة سمي عصر في الدولة العثمانية باسمها وهو عصر "آل كوبرولو".

ومن النتائج أيضًا نقل موازين الثقل المكاني في الدولة العثمانية من إستانبول إلى أدرنه، وقد لعب في ذلك فيض الله دورًا كبيرًا، فمن المعروف أن إستانبول هي العاصمة العثمانية الأولى ومركز الثقل في الدولة، وكانت أدرنه مكانا صيفيا للسلاطين، وكان السلطان العثماني يقضي ثلاثة أشهر فقط في أدرنه بحد أقصى، وكان بعض السلاطين، نظرًا لظروف الدولة السياسية، لا يخرج من إستانبول، إلا أن فيض الله أفندي استطاع أن يقنع السلطان مصطفى الثاني أن يظل في أدرنه، وظل

فيها لمدة ثلاث سنوات، ونتج عن ذلك ضعف مكانة إستانبول ومكانة القصر والعاملين فيه، مقابل زيادة نفوذ قصر أدرنه وزيادة مكانة العاملين فيه، فتأثر بذلك الضعف قطاع إداري كبير. وبالتالي: لقد تمكن فيض الله من القضاء على مكانة إستانبول، كونها العاصمة المركزية وقلب الدولة العثمانية وتحويلها إلى أدرنه بعد أن أقنع السلطان بترك إستانبول والبقاء في أدرنه، لكن مع نجاح حركة العصيان عادت إستانبول إلى مكانتها الطبيعية وبرزت مرة أخرى مع عودة السلطان الجديد إليها.

واستنتج الباحث من سيطرة عائلة كوبرولو محمد باشا وأحفاده على منصب الوزير الأعظم، وبعض المناصب الرفيعة في الدولة، أن أصحبت العائلة من كبار رجال الدولة الذين كانوا من أهل السيطرة على السياسة والجيش معا، كما صار لهم رأي في إدارة الدولة ولهم قدرة على تغيير موازين القوى الموجودة في الهيكل المؤسسي العثماني، فصارت هذه القضية من جملة الأسباب المؤدية للصراع على النفوذ في الدولة، وهذه المسألة جعلت السلطان مصطفى الثاني يقرب له شيخ الإسلام فيض الله أفندي الذي عاصر الصدر الأعظم السادس في تاريخ عائلة كوبرولو وهو حسين باشا، وكان فيض الله كما سبق ذكره على رأس المؤسسة الدينية. ويرى الباحث، بعد قراءة هذه الواقعة، أن فيض الله أراد أن يصنع لنفسه وضعًا في المؤسسة الدينية كما صنع محمد كبرولو لنفسه وضعًا مميزًا في المؤسسة السياسية، ولعل ذلك يعود إلى نشأة فيض الله فهو من أصول فارسية تميل إلي السيطرة والنفوذ، كما رأي أن يجعل منصب شيخ الإسلام متوارثًا في أبنائه، وبالفعل سعى لتعيين ابنه ليكون خلفًا له في المؤسسة الدينية، ولما كانت موازين القوى في الدولة غير قابلة لهذا الوضع، كانت النتيجة هي القضاء على فيض الله وكثير من أبنائه.

ويمكن القول: إن المنهج العنيف غير السياسي الذي اتبعه شيخ الإسلام فيض الله أفندي في إدارة الدولة أزعج سكان إستانبول، لتأثر أحوالهم واقتصادهم بالانتقال الطويل للسلطان إلى أدرنه كما أزعج مسئولي الدولة المدنيين والعسكريين، ما أدى إلى فتح الباب أمام اشتراكهم في هذا الصراع.

هذا؛ فضلا عن أن الفساد الإداري الذي وقع فيه فيض الله، والذي كان سببه الرغبة في تكوين نفوذ سياسي لعائلته كما فعل عائلة كبرولو، فكانت رغبة فيض الله رغبة باعثها التقليد، ولهذا لجأ إلى وقف كل الترقيات العلمية والقضائية في الدولة، واقتصرت تلك الترقيات على أفراد عائلته، لذلك أصبحت المناصب الدينية الكبرى أمام أبنائه، بل وأصبح منصب شيخ الإسلام القادم مقصورًا على أبنائه.

إن قلة الخبرة السياسية التي تميز بها فيض الله عجلت بنهايته، وانتهى الصراع لصالح عائلة كوبرولو وإن كانت تأثرت كثيرًا بهذه الواقعة، وكانت سببًا من أسباب ضعفها، لكنها انتهت باعتلاء السلطان أحمد الثالث العرش، وكان أول من طرح اسم أحمد الثالث لخلافة مصطفى الثاني، الصدر الأعظم حسين باشا كوبرولو قبل موته.

وفي السياق ذاته تضررت الهيئة العلمية، وكان الضرر الأكبر على منصب شيخ الإسلام بسبب سوء إدارة فيض الله أفندي وتدخله في قضايا لم يتدخل فيها من سبقه من مشايخ الإسلام، وفقد المنصب كثيرًا من صلاحيته، والتي كان أقلها منع شيخ الإسلام من التواصل المباشر مع السلطان إلا بعد عرض الطلب علي الصدر الأعظم ومعرفة أسباب القاء بالسلطان وأصبح من حق الصدر الأعظم أن يقبل مقابلته للسلطان أو يرفضها، كما سحبت منه صلاحيات التعيين في المناصب الدينية العليا، وتركت للصدر الأعظم، وظل هذا الوضع معمولا به لمدة لا تقل عن خمس سنوات تالية للعصيان.

وأخيرًا، أدت تصرفات فيض الله أفندي إلي حدوث عصيان أدى إلى عزل سلطان وإعدام شيخ إسلام، وأدى إلى اضطراب المؤسسة لمدة أربع سنوات لاحقة للعصيان، فقد تم في هذه السنوات تبديل شيخ الإسلام خمس مرات، بل تولى أحدهم عدة أيام، وبعضهم أسابيع وشهورًا، وكان أوفرهم حظًّا من تولى لمدة سنتين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العثمانية:

١. أحمد حسيب أفندي: روضة الكبراء، مخطوط، جامعة إستانبول، رقم ٨٥.

٢. راشد محمد أفندي: راشد تاريخي، استانبول ١٢٨٢هـ، ج ٣.

٣. شفيق محمد أفندي، شفينامه، تصوير أفكار مطبعه سى، إستانبول ١٢٨٢هـ.

٤. مصطفى نعيما، روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين (تاريخ نعيما)، طبعة إبراهيم متفرقة: قسطنطينيه، ١١٤٧هـ، ج٦.

٥. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١.

المراجع العربي:

٦. الزريكلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ج ٣.

٧. دونالد كوراترت: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، دار المدار، ٢٠٠٧.

٨. س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، الرياض، ٢٠٠٢.

٩. عبدالرحيم بنحادة: العثمانيون، المؤسسات والاقتصاد والثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨.

١٠. صالح سعداوي صالح، مصطلحات التاريخ العثماني، دار اليمامة، الرياض، ٢٠١٨.

١١. ماجدة مخلوف: الدولة العثمانية من الإصلاح إلي الحداثة، دار البشير، القاهرة، ٢٠٢١.

١٢. محمد مقصود اوغلو: التاريخ العثماني ١٢٨٨–١٩٢٢، دار الجذورة، استانبول، ٢٠١٩.

١٣. يلمازأوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، ترجمة: عدنان محمود سليمان، الدار العربية للموسوعات، ج١، لبنان،٢٠١٠.

المراجع الأجنبية:

1. MESUT AYDINER: Mü`minzade Seyyid Ahmed Hasib Efendi. Ravzatü'l–Kübera (tahlil ve metin), Mimar Sinan Güzel Sanatlar Üniversitesi / Sosyal Bilimler Enstitüsü, Yüksek Lisans, istanbul.
2. Recep Yılmaz, Naima *Yaşamları ve Yapıtlarıyla Osmanlılar Ansiklopedisi*, Yapı Kredi Kültür Yayıncılık, İstanbul ,1999, C.2.

3. Münir Aktepe, Naîmâ Tarihi'nin Yazma Nüshaları Hakkında, TD, I/1 1949.
4. Mehmet İpşiri, Naima, DİA İstanbul 2006, cilt 32.
5. DİA, Şefik Mehmed Efendi, İstanbul 2010, c. 38.
6. GÖKER İNAN: AHMED HASÎB EFENDİ'NİN MECMÛA-İ TEVÂRÎH'İ, Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Edirne, 2013.
7. Özcan, Abdülkadir: EDIRNE VAKASI, TDV, C10, Istanbul, 1994.
8. Tahir SEVİNÇ: II.MUSTAFA'NIN İKTİDAR MÜCADELESİ VE 1703 EDİRNE İSYANIYLATAHTTAN İNDİRİLMESİ, OsmanlıMirası Araştırmaları Dergisi (OMAD), Cilt 4, Sayı 9, Temmuz 2017.
9. Ziyakazici: osmanli da toplumyapisi, kayhanyayinlary, Istanbul, 2014.
10. Ertuğ, Zeynep Tarım "Edirne'de Yapılan Son Cülus Töreni", Edirne Serhattaki Payitaht, İstanbul 1998.
11. Bursalı Mehmed Tâhir, Osmanlı Müellifleri, c3, İstanbul, 1971.
12. Göyünç, Nejat, "Tanzimata Kadar Osmanlı Devletinde Taşra Teşkilatı", Osmanlı, Yeni Türkiye Yayınları, VI, Ankara 1999.
13. Silâhdar Fındıklılı Mehmed Ağa, Nusretnâme Tahlil ve Metin (1106-1133/1695-1721), Doktora Tezi, Marmara Üni.Sosyal Bilimler Enst., Haz.Mehmet Topal, İstanbul 2000.
14. İsmail H. Uzunçarşılı, Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1984.
15. İpşirli, Mehmet, "Klasik Dönem Osmanlı Devlet Teşkilatı", Osmanlı Devleti Tarihi I, Ed. Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul 1999.
16. Ahmed Resmî, Sefînetü'r-rüesâ, İstanbul 1269.
17. Bursalı Mehmed Tâhir, Osmanlı Müellifleri, c3, İstanbul, 1971, 116.Mehmed Süreyyâ, Sicill-i Osmânî, İstanbul, 1971, c5.
18. Zeynep Tarım Ertuğ, "Edirne'de yapılan son cülus töreni", Edirne Serhatteki Payitaht, İstanbul 1998.
19. Özcan, Abdülkadir, "III. Ahmed", DİA, II, İstanbul 1989.

20. Şutoy, V. E., "Osmanlı Devleti'nin 1700-1709 Kuzey Savaşı Yıllarındaki Tutumu", Belleten.
21. A.S. Alderson, Osmanlı Hanedanın yapısı, İstanbul, 1998, s.115.
22. İsmail H. Uzunçarşılı, Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1984.
23. Uzunçarşılı, İ. Hakkı, Osmanlı İlmiye Teşkilatı, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara 1962.
24. Ünal, Mehmed Ali, Osmanlı Müesseseleri Tarihi, Fakülte Kitabevi, Isparta 1997.
25. Kantemir, Dimitri, Osmanlı İmparatorluğu'nun Yükseliş ve Çöküş Tarihi, çev. Özdemir Çobanoğlu, Cumhuriyet Kitapları, II, İstanbul 1999.
26. Mehmet Topal, Silâhdar Fındıklı Mehmed Ağa Nusretname Tahlil ve Metin 1106-1133/1695- 1721, Yayınmamış Doktora Tezi, Marmara Üniversitesi, İstanbul, 2001.
27. Özcan, Abdülkadir, "III. Ahmed", DİA, II, İstanbul 1989.
28. Şeyhî Mehmed Efendi, Vekāyiu'l-fuzalâ (nşr. Abdülkadir Özcan), III-IV, İstanbul 1989.
29. Özcan, Abdülkadir, EDİRNE VAK'ASI, TDV İslâm Ansiklopedisi'nin 1994 yılında İstanbul, c.10.
30. Özcan, Abdülkadir, EDİRNE VAK'ASI, TDV İslâm Ansiklopedisi, 1994, İstanbul, c.10.
31. İpşirli, Mehmet: Paşmakçızade Ali Efendi, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2007, İstanbul c.34.
32. Özcan, Abdülkadir: Defterdar Sari Mehmet Paşa, Zübdei vekayiat , türk tarih kurumu yayınları, Ankara, 1995.
33. Andreasyan, Hrand D. "Balatlı Georga göre Edirne Vakası", Tarih Dergisi, XI, İstanbul 1969.